منشورات الدار تخضع للتحكيم والتدقيق اللغوي

أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين/ أحمد محمد قدور.- دمشق: دار الفكر؛ ١٩٩٨.- ١٢٥ص؛ ٢٤سم.
١- ٤١٢ ق د و أ ٢- العنوان ٣- قدور
مكتبة الأسد
ع-١٢١٣/٨/١٩٩٨

الدكتور أحمد محمد قدّور

أصالة علم الأصوات

عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين

طبعة مزيدة ومنقحة

جامعة الملك خالد
عمادة شؤون المكتبات
المكتبة المركزية

دار الفكر
آفاق معرفة متجددة

الرقم الاصطلاحي : ١١٩٠,٠١١

الرقم الدولي: ISBN:59239-245-8

الرقم الموضوعي: ٤٢٠

الموضوع: فقه اللغة

العنوان: أصالة علم الأصوات

التأليف: الدكتور أحمد محمد قدور

الصف التصويري: دار الفكر – دمشق

التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق

عدد الصفحات: ١٢٨ صفحة

قياس الصفحة: ١٧ × ٢٥سم

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من

دار الفكر بدمشق

برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد

ص.ب: (٩٦٢) دمشق-سورية

فاكس: ٢٢٣٩٧١٦

هاتف: ٢٢٣٩٧١٧ – ٢٢١١١٦٦

http://www.fikr.com/

e-mail: info@fikr.com

الطبعة الثانية

١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م

ط١/١٩٩٨

المحتوى

الصفحة	الموضوع

٧	المقدمة
١١	القسم الأول: الدراسة
١٣	تمهيد : نشأة علم الأصوات عند العرب
١٥	١- مسألة تأثر الخليل بالحضارات السابقة
٢٠	٢- مسائل صوتية نطقية
٥٣	٣- مسائل صوتية تشكيلية
٦٧	ملحق: المصطلحات الصوتية وتحليلها
٨٣	القسم الثاني: النصوص
٨٥	١- مقدمة كتاب العين بتحقيق آل ياسين
٩٧	٢- نصوص من المقدمة أوردها الأزهري
١٠٩	٣- نصوص من المقدمة أثبتها أبو حيان
١١٥	٤- بعض مااقتبس من المقدمة (لدى ابن دريد ومكي والأستراباذي وابن منظور)
١٢١	فهرس المصادر والمراجع

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد نشأ "علم الأصوات" عند العرب في القرن الثاني للهجرة ضمن الجوّ الحضاري الناهض عصرئذ. وكانت غاية هذا العلم عملية منذ البداية، إذ جُعلتْ مبادئه ومعطياته أساساً لعلوم العربية من نحو وصرف ومعجم وغير ذلك من معارف أدبية ونقدية وبلاغية. ويبدو أنّ هذه الغاية العملية أدّت إلى افتقار هذا "العلم" إلى إطار معرفي مضبوط يجعله علماً أي مايعادل مفهوم "science" الإبستمولوجي كما يعرف الآن. وزاد تقدّم الزمن من توظيف معطيات علم الأصوات في علوم العربية من جهة، وفي القراءات القرآنية من جهة أخرى حتى ظهر "علم التجويد". وقد نشأ هذا العلم الوليد من الحاجة إلى تفسير علمي للوجوه الصوتية التي ضمّتها القراءات القرآنية. وحمل أصحاب هذا العلم على عاتقهم مهمّة المتابعة الجادّة لِما توصّل إليه أهل اللغة في هذا الصدد، فجدّت مسائل وعُدّلت أخرى مع بقاء الأسس التي أُرسيت قبلاً.

وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي رائد علم الأصوات عند العرب، كما كان رائد علوم العربية كافة بلا منازع. والخليل -كما وصفه القدامى- رجل لم ير مثله، وكان عقله أكبر من علمه، وعلمه جمّ مع ذلك. ولم تسلم هذه الرّيادة من شكوك في نسبة "كتاب العين" إلى الخليل قديماً، كما لم تسلم أصالة هذا العلم عند الخليل من حيث اتصاله بالشعوب الأخرى من الظنون حديثاً. وقد غاب عن القدامى أنّ مافي كتاب

العين عامة، وما في مقدّمة الكتاب خاصة لايمكن أن ينسب إلى أحد غير الخليل الذي كان دأبه الابتداع. وغاب عن المحدثين ممّن استكثروا على الخليل بوصفه عالماً عربياً مسلماً أن يكون صاحب هذا العلم ابتداء النظرُ العلمي المدقّق في مفهوم العلم الذي بعثه الإسلام في الناس فقوّى قدرات العقول على الاختراع. كما غاب عن هؤلاء حقيقة دور الترجمة والاختلاط بالشعوب الأخرى في نشأة العلوم العربية عصرئذٍ. فالحق أنّ هذا الدور حُمّل أكثر ممّا ينبغي ولا سيما في المرحلة التي نحن بصددها، وهي مرحلة مبكرة من ظهور الترجمة ووضوح أثر الاختلاط. وغاب عن هؤلاء أيضاً أنّ أصول علم الأصوات ترجع إلى معارف لغوية تداولها الناس قبل أن تدوّن في مصنفات عرفت بـ "خلق الإنسان"، كما ترجع إلى وجوه صوتية عملية مبثوثة في القراءات القرآنية. ولذلك لم يظهر في هذا العلم أيّ مصطلح دخيل، كما لم يقع فيه أيّ اختلاف بين المبادئ والقواعد من جهة والخصائص التي استخلصت من كلام العرب من جهة أخرى.

وهكذا انتهيتُ بعد طول الوقت ودوام التفكير– فقد بدأ اشتغالي بهذا الموضوع منذ سبع سنوات– إلى أنّ مدخل البحث في علم الأصوات عند العرب هو في الكشف العلمي المنصف عن جهود الخليل في مقدمة كتاب العين انطلاقاً من "أصالة" هذه الجهود، وهي وقائع مدركة تخضع للتحليل والدرس، لاظنون وشكوك كتلك التي رمانا بها بعض المستشرقين ممّن يرجمون بالغيب. فالأصالة المقصودة هنا تعني الابتداع "initiative" الذي يخلو من مثال سابق أو اقتباس ثابت، كما تعني دوام الأثر وصحّة النتائج. ومقدّمة كتاب العين للخليل نصٌ غنيّ بالأفكار والجوانب العلمية فضلاً عن استقلاله والوثوق بنسبته إلى الخليل عموما على خلاف كتاب العين الذي ربّما كان من عمل الليث مهتديا بخطة الخليل دون أن يكون للخليل دور في تحرير النصوص أو إملائها على عادة المؤلفين المعهودة.

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يكون في قسمين، عرضت في الأول منهما نتائج قراءتي لمقدّمة كتاب العين منطلقاً من النصّ نفسه دون إهمال ماتمكن الاستعانة به من مصادر ومراجع مختصّة. وقد ضمّ هذا القسم تمهيداً وثلاث فقرات، أوردت في الأولى مقدّمات عامة حول الموضوع، على حين وقفت في الثانية عند أبرز المسائل التي وردت في المقدمة ممّا ينسب إلى علم الأصوات النطقي الذي ينتمي إلى الفونيتيك وفق الدرس اللساني الحديث. أما الفقرة الثالثة فقد أشرت فيها إلى أهمّ المسائل الواردة في المقدمة ممّا يتصل بخصائص التشكيل الصوتي الذي تدعوه اللسانيات بالفونولوجيه. وألحقت بهذا القسم ثبتاً مطوّلاً بالمصطلحات الصوتية المستخرجة من مقدمة كتاب العين موضوعة في جداول تحليلية مبتكرة.

أما القسم الثاني فيضمّ نصوصاً واقتباسات من مقدّمة كتاب العين رأيت إثباتها لتكون دليلاً على ماقدّمت في القسم الأول، وباباً يلج منه من شاء من الدارسين لمتابعة العمل أو تقويمه ونقده. فالمجال مايزال مفتوحاً أمام المختصين ليدلوا بدلوهم بين الدلاء، إذ لم أقدّم فيما جهدت فيه مخلصاً إلا القليل أو أقلّه ممّا يستحقّه صاحب المقدّمة؛ وهو الرائد الفذّ، والرائد لايكذب أهله ! وقد جعلت هذه النصوص في أربع فقرات ضمّت الأولى نصّ المقدّمة الذي نشره الشيخ محمد حسن آل ياسين عام ١٩٧٧ في مجلة البلاغ، علماً أنني اعتمدت في قراءتي على المقدّمة الواردة في طبعة الأستاذين المخزومي والسامرائي لكتاب العين للوثوق بها نسبياً ولسهولة الوصول إليها. وضمّت الفقرة الثانية نصوصاً منتقاة من مقدّمة الأزهري لمعجمه "تهذيب اللغة" ممّا قبسه من مقدمة كتاب العين التي صحّح نسبتها إلى الخليل. أما الفقرة الثالثة فقد حوت نصوصاً من المقدمة وبعض مايفسّرها أوردها أبو حيان الأندلسي في كتابه "تذكرة النحاة" نقلاً عن كتاب مفقود لجنادة الهروي. وجاء في الفقرة الرابعة شيء من الاقتباس الذي يشير إلى مقدمة كتاب العين وبعض ماجاء فيها دون أن يكون في الأمر نقل واسع كما مرّ سابقاً.

وقد ضمّ هذا النحو نصوصاً من "كتاب جمهرة اللغة" لابن دريد، وكتاب "الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة" لمكي بن أبي طالب القيسي، وكتاب "شرح شافية ابن الحاجب" للأستراباذي، ومعجم "لسان العرب" لابن منظور.

ولم يكن في الحسبان أيّ قصد لجمع ماتفرّق من آراء الخليل الصوتية في تضاعيف الكتب فدون ذلك خرط القتاد. إنما قصدنا إثبات بعض ماوقفنا عليه ليكون لنا حجة، مع إغفالنا بعض ماهو في حكم النقل من مقدمة كتاب العين على نحو ماورد لدى ابن جني في كتابه "سرّ صناعة الإعراب"، إذ أغار فيه على آراء الخليل الواردة في مقدمة كتاب العين دون أن يشير إلى ذلك أيّ إشارة، وعلى نحو ماظهر لنا في مقدمة "كتاب جمهرة اللغة" لابن دريد التي تكاد تكون صياغة جديدة لأفكار الخليل.

ولا بدّ من الإشادة بالتشجيع والمساعدة العلمية التي تلقيتها من الأخ الدكتور صلاح كزارة الذي دأب على متابعة أعمالي قارئاً ومناقشاً وناصحاً، فجزاه الله عني خير الجزاء.

وأودّ أن أزجي كلمة وفاء خالص وعرفان كبير ومودة فيه رحمة سابغة إلى زوجتي السيّدة دلال التي احتملت من أعباء مهنتي في التعليم والبحث مالا يحتمل. وهيهات أن تقدر هذه الكلمة على ردّ شيء من جميلها ورعايتها...

أَيُهدى لها درُّ التقاريظ والثنا ومن بحرها الفيّاض يُستخرج الدرُّ

والله الموفق

حلب في ١٨ من أيلول عام ١٩٩٧

أحمد محمد قدّور

القسم الأول

الدراسة

تمهيد

علم الأصوات عند العرب واحد من العلوم التي نشأت في القرن الثاني للهجرة. ومعروف أنّ هذا القرن كان قرن نشأة الكثير من العلوم العربية وازدهارها. لكن علم الأصوات يختلف عن بعض هذه العلوم ولا سيما العلوم اللغوية من جهة الوضوح المصطلحي والضبط المعرفي "الإبستمولوجي". آية ذلك أنه ظلّ محتاجاً إلى مصطلح جامع ينبئ بما يضمّه من مسائل ذوات حدود واضحة، وأنّ معطياته صارت دولة تتجاذبها علوم اللغة والبلاغة والتجويد والطبّ حتى هذا العصر. ولذلك افتقر إلى (إطار) معرفي مضبوط على النحو الذي حظيت به علوم عربية أخرى كالنحو والصرف والبلاغة والعروض.

ولا يعني هذا أبداً التقليل من إنجازات العلماء القدامى في هذا المجال، إذ حفلت كتب النحاة واللغويين وعلماء البلاغة والتجويد والحكماء بالجمّ الغفير من الموضوعات الصوتية النظرية والتطبيقية. وتذكر في هذا الصدد كتب كثيرة حوت جوانب من الدرس الصوتي أو عنيت بمسائل تطبيقية متعدّدة. نحو "كتاب "سيبويه (ت ١٨٠هـ)، وكتاب "سرّ صناعة الإعراب" لابن جني (ت ٣٩٢هـ)، وكتاب "الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة "لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ)، وكتاب "رسالة أسباب حدوث الحروف" لابن سينا (ت ٤٢٨هـ)، ونحو ذلك من كتب بلاغية للرماني (ت ٣٨٦هـ) وابن سنان الخفاجي (ت ٤٦٦هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١هـ)

وضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧هـ) وبهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣هـ). أما ماخلّفه علماء التجويد وحدهم فهو من الكثرة والتنوّع بمكان. وتكفي المطالع نظرة عجلى يلقيها على فهارس المخطوطات العربية ليكتشف مبلغ العناية التي حظي بها درس الأصوات عند هؤلاء العلماء الذين قرنوا معطيات الدرس الصوتي "المعقول" إلى معطيات الأداء القرآني "المسموع"، فكان لهم هذا التراث العظيم حقاً.

ويأتي "كتاب العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) في مقدّمة الآثار المدوّنة التي شرعت لطوائف شتى من العلماء طرائق الدرس الصوتي الذي كان "المعجم" أول مجال يظهر فيه نظراً وتطبيقاً. وتثار حول كتاب العين للخليل قضايا متعدّدة بعضها مايزال موضع اختلاف الدارسين في هذا العصر. وأهمّ مايعرض له الدارسون في هذا الصدد البحث في تحقيق نسبة كتاب العين للخليل، ونشأة المعجمية العربية، وأثر العين في المعاجم التي حذت حذوه خاصة وفي غيرها من معاجم العربية عامة. وليس من مقاصد هذا البحث الوقوف عند هذه القضايا أو بعضها، إذ تطلب في مظانّها وقد بذل فيها جهد كبير أسهمت فيه طائفة من الدارسين المحدثين. أما بحثنا هذا فمعنيّ بالكشف عن أصول الدرس الصوتي وصولاً إلى "أصالته" من خلال مقدمة كتاب العين. وسيعرض البحث لِما أثاره بعض المحدثين من عرب ومستشرقين من شكوك في مدى أصالة الدرس الصوتي عند الخليل، وما افترضه هؤلاء من اقتباس واسع من مصادر أجنبية. كما سيعرض تفصيلاً لإنجازات الخليل الصوتية من خلال مقدمة العين أصلاً، لأنّ في بيان هذه الإنجازات وعرضها على الدرس الحديث الردّ العلمي على تلك الشكوك التي لاتستند إلى أيّ دليل صحيح.

مسألة تأثّر الخليل بالحضارات السابقة

لقد ذهب بعض الدارسين المحدثين إلى أنّ الخليل متأثّر بنظام ترتيب الأصوات عند الهنود من نحاة السنسكريتية. وقد احتجّ هؤلاء بحجج مختلفة منها استغراب النضج المبكر لعلوم العربية، ممّا يؤكد افتراض اقتباس واسع من حضارات سابقة تتمتع بمفاهيم لغوية متطورة تطوراً بعيداً. ويذكر مونان (G. Monin) أن فولرز (K. Vollers) أشار إلى بعض نقاط التماس بين بانيني (Panini) وبين العلوم الصوتية اللغوية التي أنشأها الجيل الأول من النحويين العرب كالخليل مثلاً [(١)]. ويبدو أن دائرة المعارف الإسلامية أخذت بهذا الزعم، إذ رأى كاتب مادة "الخليل "فيها أنّ "الظاهر أنه رتّبه على حروف الهجاء عند نحاة السنسكريتية وهي التي تبدأ بحروف الحلق..."[(٢)]. وذكر فؤاد سزكين أنّ "مسألة تأثر الخليل بترتيب الهنود لحروف الأبجدية تبعاً لمخارجها يمكن عدّها أمراً مفروغاً منه" [(٣)]. وأحال سزكين إلى مرجع للمستشرق المعاصر فيلد (S. Wild). وأكّد مانفريد أولمان هذا التأثر بقوله: "... صنّف الخليل بن أحمد الفراهيدي معجمه الشامل "العين" الذي نظم فيه أصول الكلمات ومصادرها طبقاً للقواعد الهندية وفق نظام صوتي منطلقه حرف العين..."[(٤)]. وقد تبنى

(١) مونان، جورج، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ص ١٠٦.

(٢) دائرة المعارف الإسلامية، ٨/ ٤٣٦.

(٣) سزكين، تاريخ التراث العربي، مج٨، ١/١٨، ٢٢.

(٤) أولمان، مانفريد "معجم اللغة العربية الفصحى"، ضمن كتاب ألمانيا والعالم العربي، ص ٣٢٧.

شوقي ضيف هذا الرأي من غير أن يشير إلى مصدر معيّن. لكنه أضاف إلى هذا الرأي الشائع أن الخليل "ربما عرف ذلك من بعض نازلتهم – الهنود – في موطنه"[٥].

وذهب دارسون آخرون في سياق درس تأثر الدرس اللغوي العربي عامة بالتراث اليوناني إلى أن الخليل أخذ ترتيبه من المعاجم اليونانية، وأنه لافضل له في ذلك إلا أسبقيته في النقل. واحتج هؤلاء بحجج منها أن الخليل عرف اليونانية بحسب رواية للزبيدي (ت ٣٧٩هـ) في كتابه الطبقات"[٦] وأن الخليل تلقى من حنين بن إسحاق (ت ٢٦٤هـ) ماترجمه من تراث اليونان[٧].

لكنّ دارسين آخرين لم يركنوا إلى الأخذ بمبدأ التأثّر أياً كان مصدره، وذهبوا إلى أنّ ترتيب الحروف على المخارج خاصة لايمكن أن يكون مستمداً من الهندية ولا اليونانية ولا السريانية ولا اللغات الأخرى التي عرفها الشرق الأدنى القديم. وقد أنكر هؤلاء معرفة الخليل باللغات الأجنبية أساساً لانعدام الدليل على ذلك. وأبرز من ذهب هذا المذهب يوسف العشّ (١٩٤١م)، وحسين نصّار (١٩٥٦م) ومهدي المخزومي (١٩٦٠م)[٨].

والحقّ أن نشأة الدرس الصوتي على يد الخليل جاءت ضمن الجوّ الحضاري الناهض

(٥) ضيف، شوقي، المدارس النحوية، ص ٣٢.

(٦) انظر: الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين، ص ٥١.

(٧) انظر هذه الحجج مع مناقشة مستفيضة في:

- يوسف العش، " أولية تدوين المعاجم وتاريخ كتاب العين المروي عن الخليل بن أحمد" بمجلة المجمع العلمي العربي، المجلد ١٦ لعام ١٩٤١، ص ٥١٣ – ٥٢٠.
- مهدي المخزومي، الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه، ص ٦٢- ٧٤.
- حسين نصار، المعجم العربي، ٢٢٢/١ – ٢٢٧.
- هادي حسَن حمّودي، الخليل وكتاب العين، ص ٧١ – ٨٠.

(٨) انظر: المراجع السابقة.

عصرئذ، ولم تكن طفرة في عصر راكد أو متخلّف. وإذا سلمنا باقتباس هذا العلم لأنه على قدر من التفوّق فكيف نفعل بعشرات العلوم التي نشأت مع علم الأصوات كالمعجم والنحو والصرف والدلالة والبلاغة والنقد والتفسير والفقه؟ هل نزعم أنها منقولة عن الأجانب لأنها علوم مبتكرة؟ لقد "كان العصر الذي عاش فيه الخليل حافلاً بتأليف الكتب الجامعة للعلوم من الحديث يجمعه ابن جريج، إلى القراءات يدونها أبو عمرو بن العلاء، إلى الفقه يقيد مادته وأحكامه مالك والشافعي، إلى التاريخ يبسطه الواقدي وتلاميذه، إلى الشعر يجمعه السكري وغيره"[٩].

وفضلاً عن أن لقاء الخليل بحنين بن إسحاق هو محض خطأ لأن الخليل توفي قبل أن يولد حنين[١٠]، فإن الخليل لم يدرك عصر الترجمة الحقيقي. فالخليل توفي نحو عام ١٧٥ للهجرة على حين أن عصر تراجمة بغداد الذهبي كان بين عامي ٢٠٥ – ٢٥٦ تقريباً، أي في القرن الثالث. كذلك لم يذكر أحد من القدماء بعد اتساع عملية الترجمة وانتشار الكتب انتشاراً كبيراً أيّ مصدر أجنبي كان منه اقتباس الخليل أو من أخذ عنه الخليل. فلو أن شيئاً من ذلك الاقتباس حدث فعلاً لبقي منه أثر يظهر أو إشارة ترد قصداً أو عفواً.

أما ماذهب إليه شوقي ضيف مما أضافه إلى مزاعم الأخذ عن الهنود من أن الخليل ربما عرف هذا الدرس الصوتي من نازلة الهنود في البصرة في عصره، فأمر بيّن الخطأ، لأن فيه افتراضاً يجعل الهنود عالمين بإنجازات علمائهم الدقيقة وإن كانوا تجاراً أو بحارة علماً يسمح لهم بنقلها إلى الأجانب وإيصالها سليمة من التحريف. وإذا استذكر المرء وضع العلم في تلك العصور ولدى الشعوب غير الإسلامية شقّ عليه قبول انتشار العلم

(٩) العش، " أولية تدوين المعاجم..." ص ٤٦٠.

(١٠) انظر: العش، ص ٥١٥، والمخزومي، الخليل بن أحمد...، ص ٦٥ – ٦٦.

انتشاراً واسعاً في فئات الناس جميعاً. فالعلم الذي هو حقّ وفرض أوجبه الإسلام على كلّ إنسان عاقل لم يكن متاحاً في أي صورة من صوره للناس، بل كان ممّا ينبغي إخفاؤه والتستر عليه والضنّ به إلا على علية القوم من الخاصة.

ويسهم في نفي التأثر المزعوم بالترجمات خلوّ عمل الخليل الصوتي من أيّ مصطلح دخيل أو معرّب -كما سيتبيّن لاحقاً- فالعلوم التي تتلقى عن طريق الترجمة تكون عادة حافلة بالمصطلحات الدخيلة، لأن تلقي العلوم واقتراضها لابدّ من أن يكون مصحوباً بجهازها المصطلحي. والأدلة على ذلك كثيرة منها القديم والحديث. ففي القديم سادت المصطلحات اليونانية في العلوم الجديدة المقترضة أو المعارف التي رفدت بالترجمة كالمنطق والفلسفة والهندسة والكيمياء ونحوها من علوم العجم كما يقول الخوارزمي (ت ٣٨٧هـ) في مفاتيح العلوم. وإنّ الباحث ليعجب من كثرة الكلمات الدخيلة في "المقالة" أو القسم الذي عقده الخوارزمي للعلوم الجديدة (علوم العجم)، على حين أن "المقالة" أو القسم الذي عقده للعلوم العربية والشرعية يكاد يخلو خلواً تاماً من أي مصطلح دخيل إلا فيما استحدث من الدواوين التي ينطبق عليها ماينطبق على القسم الأول تقريباً. وفي الحديث أيضاً نجد أنّ العلوم التي بقيت بمنأى من التأثر أو الاقتراض الواسع تخلو من المصطلحات الدخيلة، على حين أن غيرها ممّا مسّته الترجمة أو النقل مسّاً عنيفاً يحفل بالكثير من المصطلحات الدخيلة والمعرّبة. ويكفي هنا أن نذكر علم اللغة أو اللسانيات وما أثاره من بلبلة اصطلاحية مبعثها المصطلحات الأجنبية التي عبّرت عن مفاهيم غريبة على الدرس العربي[١١].

ويبدو أنّ الذين جنحوا إلى القول بالتأثر بدليل وبغير دليل فاتهم أنّ عمل الخليل بني على أساس لغة العرب بدءاً، ولو كان الأمر غير ذلك لظهر اختلاف بين العلم

(١١) انظر: الخوارزمي مفاتيح العلوم، ص٤ وانظر مقالتنا، "مشكلات المصطلح اللساني، وصف ونقد واقتراح"، مجلة بحوث جامعة حلب، العدد /٢٦/، ص ٨٧ - ١١٦.

المستجلب والمادة المدروسة وهو مالم يلاحظ ألبتة. وسيتبيّن المزيد من هذه القضية لاحقاً. كذلك لم يلتفت هؤلاء إلى معطيات التكوين الثقافي للخليل، كما لم يدخلوا ابتكارات الخليل الأخرى في حسبانهم، وكأنّ الرجل سطحي الثقافة خامل الفكر. فالخليل الذي تلقى لغة العرب سماعاً، وتلقى القراءات القرآنية كذلك حصر بحور الشعر بضروب من المفاعيل الإيقاعية العجيبة التي اتفق الجميع على أنه هو الذي ابتدعها من غير سابق مثال[١٢] . فلم يكن الخليل بعيداً عن جوّ الأصوات والأنغام وهو الذي ألّف في الموسيقى، وكان له فضل التقدّم فيها أيضاً[١٣].

ولم يستطع أحد من الدارسين عرباً ومستشرقين أن يثبت أي شيء من التأثر المزعوم، فبقي الأمر ضمن الشكوك والظنون التي لايؤخذ بها في البحث العلمي الذي يستند إلى أدلة صالحة للاستدلال لا إلى أقاويل أساسها الاحتمال.

(١٢) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ١/ ٤٥٣، وعبدالله درويش، المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم العين، ص ١٤.

(١٣) انظر: الزبيدي، الطبقات، ص ٤٩ - ٥٠.

مسائل صوتية نطقية

أراد الخليل أن يدرس اللغة على أساس علمي استقى طرفيه من الثقافة العقلية واللغوية. فقد فكّر الخليل بطريقة تمكّنه من جمع اللغة على سبيل الحصر والاستيعاب وليس على أساس الجمع وتصنيف المسائل بحسب الموضوعات وغيرها. ولم يستطع ترتيب آخر أن ينهض بالمهمة التي أرادها الخليل لمعجمه كتاب العين كالترتيب الأبجدي والترتيب الألفبائي لأنهما يهدران القيمة الصوتية التي جعلها الخليل مبدأ من مبادئ عمله. فقد وعى أسس التصريف -إن لم يكن ابتكر معظمها- والأبنية، وعرف خصائص ائتلاف الأصوات ونسجها، ووقف من خلال روايته الواسعة[١٤] على المهمل والمستعمل ممّا يتركب من الكلام العربي، وحدّد عن طريق العلوم الرياضية ماتقدّمه التقاليب من صور محتملة أحصاها إحصاء دقيقا[١٥]. وإذا عرف المرء أنّ معظم هذه الأسس ضمّنتها مقدمة كتاب العين التي تقع في ثلاث عشرة صفحة هاله ماانطوى عليه عمل الخليل من ثراء في التفكير ودقة في الاستنباط وعمق في فهم

(١٤) انظر: ضيف، المدارس النحوية، ص ٤٦ - ٤٨.

(١٥) انظر: كتاب العين، ٤٧/١ - ٥٩، وانظر: المزهر، ٧٤/١ حيث نقل عن حمزة الأصبهاني أن الخليل ذكر عدد أبنية كلام العرب من المستعمل والمهمل من غير تكرار، وهي اثنا عشر (مليون) بناء، وثلاثمئة ألف وخمسة أبنية وأربعمئة واثنا عشر.

خصائص العربية. وهذا دأب الخليل دائماً "فهو لايلمّ بعلم حتى يلتهمه التهاماً، بل حتى يستوعبه ويتمثله وينفذ منه إلى مايفتح به أبوابه الموصدة، وحقاً ماقاله ابن المقفع فيه من أن عقله كان أكثر من علمه"[١٦].

ولا يتسع مجال هذا البحث للوقوف على هذه الأسس التي تثبت ريادة الخليل للمعجمية العربية ريادة مطلقة، إنما نقف -كما أسلفنا- عند الدرس الصوتي وحده من خلال مقدمة كتاب العين. فالبحث مقتصر على الأصوات ومحدّد في "المقدمة" بحسب رواية الليث عن الخليل. ومع أنّ هناك الكثير من الاستئناس بآراء مبثوثة للخليل في مصادر أخرى، فإن بحثنا ليس تقصياً لآراء الخليل الصوتية التي تحفل بها مصادر اللغة وكتب التراث الأخرى.

أما موقع المقدمة ضمن الاختلاف المستمرّ حول نسبة كتاب العين للخليل فقد عبّر عنه أكثر القدامى والمحدثين مؤيّدين كون التأسيس في أول الكتاب أو مخطّطه أو جزء متقدّم منه للخليل نفسه. وقد عبّر الأزهري (ت ٣٧٠هـ) عن هذا الموقف بقوله : "ولم أر خلافاً بين اللغويين أن التأسيس المجمل في أول كتاب "العين "لأبي عبدالرحمن الخليل ابن أحمد، وأن ابن المظفر أكمل الكتاب عليه"[١٧] "وقريب من هذا الموقف مارواه ثعلب (ت ٢٩١هـ) وذكره ابن جني (ت ٣٩٢هـ) من أنّ الخليل أومأ إلى الكتاب أو رسمه، لكنه لم يله بنفسه ولا قرّره ولا حرّره"[١٨]. وقد اعتمد بروكلمان على الرغم من كلّ الشكوك التي ثارت حول هذا الكتاب الرأي السابق الذي يذهب إلى أنّ الخليل وضع خطة الكتاب وترتيبه وأن الليث بن المظفر أتمّه[١٩]. ومع أننا ذكرنا إعراضنا عن الدخول في مشكلة نسبة كتاب العين للخليل جملة، فإنّ دراسة ماضمّنته

(١٦) انظر: ضيف، المدارس النحوية، ص ٣٠.

(١٧) الأزهري، تهذيب اللغة، ٤١/١.

(١٨) انظر: ابن جني، الخصائص ٢٨٨/٣، وانظر رأي ثعلب في المزهر، ٨٢/١.

(١٩) انظر: بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ٤٥٤/١ - ٤٥٥.

مقدمة الكتاب تظهر أنّ الخليل هو صاحب الفكرة من دون شك وأنه عرضها على تلميذه معلّماً ومناقشاً، وأنه أملى من حفظه في هذا الصدد ماجعل الليث ينحو نحوه في أجزاء الكتاب كلّها حتى استوفى جوانب الخطة. وربما عرض في أثناء ذلك شيء من الزيادة بسبب الإكمال أو ضمّ الفوائد من ناس عاشوا بعد الخليل وتلميذه الليث (ت نحو ١٩٠هـ)[٢٠].

ويؤيد طبيعة الإملاء والسماع لاالتأليف المنظم مارواه لغويون آخرون من معلومات مماثلة لما يرد في مقدمة العين برواية الليث. فقد نقل الأزهري نصوصاً من المقدمة برواية الليث، كما روى معلومات مماثلة لما ورد برواية الليث عن غيره عن الخليل[٢١]. ونقل أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) من كتاب جنادة الهروي (ت ٣٩٩هـ) أبعاضاً مما رواه الليث، وأخرى مما رواه النضر بن شميل (ت ٢٠٣هـ) تلميذ الخليل، وأشياء من رواية الأخفش الأوسط (٢١٥هـ) عن الخليل[٢٢] وتشير الأمثلة المتقدمة إلى تحقيق نسبة "المعلومات" الصوتية الواردة في المقدمة للخليل وتنفي أن يكون للّيث دور في إبداعها، لكنّها لاتؤيد ألبتة فكرة "كتابة" المقدمة من قبل الخليل نفسه[٢٣].

---

(٢٠) فلا عبرة بما استدلّ به عبدالله درويش في كتابه: المعاجم العربية من أن الليث روى جميع الكتاب عن الخليل. فعبارة "حدثني الليث بن المظفر بن نصر بن سيار عن الخليل بجميع مافي هذا الكتاب" لاتقطع الطريق على القائلين بأن الخليل عمل أول كتاب العين فقط، ثم أتمّه الليث جرياً على مخططه مالئاً تضاعيفه بالسماع عن الخليل. فالليث روى فعلاً معظم المادة من سماع الخليل في حياته أو بعد موته من كراريسه، ونسبها إلى مصدرها دون أن يدلّ هذا بالضرورة على أنه يروي " تأليف " كتاب العين من قبل الخليل نفسه.

(٢١) انظر: الأزهري، التهذيب، ٤١/١، ٥٠/١. كذلك نقل ابن منظور في مقدمة لسان العرب نصّاً كاملاً من مقدمة العين برواية الليث. انظر اللسان ١٣/١ - ١٤.

(٢٢) انظر: أبو حيان، تذكرة النحاة، ص ٢٥ - ٣١.

(٢٣) سبق أن قرّرنا أن الخليل (عمل) أول كتاب العين، ثم أتمّه الليث... لكنّ هذا لايعني أنّ الخليل (كتب) المقدمة كما يفعل المؤلفون. وقد ذكر رمضان عبدالتواب: " وهناك خلاف كبير في نسبة كتاب العين إليه. ويبدو أن الخليل بن أحمد كتب مقدمته، ووضع الهيكل العام للكتاب، ثم حشاه من بعده تلميذه الليث بن المظفر". انظر : فصول في فقه العربية، ص ٢٦٧.

أما المعطيات الصوتية في مقدمة العين فيمكن أن تقسم على قسمين بحسب مااستقرّ عليه الدرس اللساني الحديث، هما: علم الأصوات (Phonétique) وعلم التشكيل الصوتي (Phonologie). لكننا نستبق الأمور لنؤكد أن الخليل لم يكن يقصد استيفاء كل ماتوصّل إليه من معلومات صوتية على سبيل الحصر، كما لم يكن معنياً بعرضها عرضاً متسلسلاً لأسباب قد ترجع إلى طبيعة الإملاء التي وسمت تأليف الكتاب. فغاية الخليل من كتابه كما تقدمت الإشارة هي حصر أبنية كلام العرب فلا يخرج منها عن هذا الحصر شيء. وقد دفعه إلى ذلك فهمه لأسرار تركيب الحروف من حيث المخرج والصفة، فنهد إلى إيضاح قواعد صوتية تركيبية يستعان بها على ذلك الحصر وعلى كشف المصنوع من الكلام.

١- وأول مايظهر للباحث من عمل الخليل الصوتي هو اهتداؤه إلى مبدأ اللغة الصوتي القائم على المشافهة التي كانت السبيل المثلى لتلقي اللغة من أهلها قبل أن يتوسّع التدوين وتتطوّر الكتابة وتحظى بمكانة لائقة. ويتفق مسلك الخليل في الرجوع إلى المبدأ الصوتي وأسس التحليل اللغوي الذي ينطلق من كون اللغات تتصف بكونها كلاماً منطوقاً يتداول مشافهة، لذلك وجب الاهتمام بالأصوات المنطوقة قبل الحروف المكتوبة. ويبدو أنّ الخليل لم يهجم على هذا المبدأ استناداً إلى معرفته بالمشافهة وسيلة لنقل اللغة فقط، إنما توصّل إلى ذلك بعد تدبّر وإعمال نظر. فقد اتّجه بدءاً من "حروف ألف وبا وتا وثا..." أو حروف "أ، ب، ت، ث "[٢٤] فلم يستطع الاعتماد على الألف لأنه حرف معتل -كما يقول- فنظر في الحرف الثاني وهو الباء فلم يمكنه الابتداء به أيضاً إلا بحجّة ودليل. ولذلك نحّى الخليل هذا الترتيب الألفبائي الذي ابتدعه نصر بن عاصم (ت ٩٠هـ) مراعياً التشابه الخطي بين الحروف. كما تجاوز الترتيب الأبجدي الموروث عن اللغات العروبية "السامية" القديمة، لأنه لايشير إلى قيمة صوتية

---

(٢٤) انظر: العين، ٤٧/١، والفهرست، ص ٤٨.

تركيبية تعين على كشف خصائص الكلام العربي كما يبدو[٢٥]. وهكذا كان اعتماد الخليل الترتيب الصوتي بعد أن "دبّر ونظر إلى الحروف كلّها وذاقها، فوجد مخرج الكلام كله من الحلق، فصيّر أولاها بالابتداء أدخل حرف منها في الحلق"[٢٦] ويتبيّن مما تقدّم أنّ الخليل لم يتوصّل إلى ماتوصّل إليه عن طريق الاقتباس من مصادر أخرى، إذ لو كان ذلك قد حصل لما احتاج الخليل إلى التجربة والاستقصاء والتدبر وإنعام النظر.

٢- ويؤيّد توصّله إلى مبدأ اللغة الصوتي واعتماد الترتيب الجديد المستمدّ من المخارج من تلقاء نفسه استناده إلى التجربة الخاصّة وهي التي دعاها بـ"ذوق الحروف". فقد عرض أولاً للترتيب الألفبائي وأعرض عنه لِما تقدّم ذكره من أسباب، ثم نظر في الحروف على أساس صوتي منطوق فكان ذواقه إياها، ثم وضعه لتسلسلها بدءاً من الحلق وانتهاء بالشفتين.

ولكي يتم هذا الذواق الذي هو وسيلة للتوصّل إلى تسلسل الأصوات المخرجي كان يأتي بالحرف خالصاً من أي حركة بعد أن يفتح فاه بالألف (أي همزة الوصل)، لأن الصوت لايفهم إلا بسكون الحرف. "وإنما كان ذواقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف، نحو ابْ، اتْ، اعْ، اغْ"[٢٧]. وروى سيبويه وصفاً مسهباً لحوار جرى بين الخليل وتلاميذه حول التلفظ بالحرف، انتهى منه الخليل بعد أن استمع إلى صور خاطئة إلى أن الصحيح أن يقال: إبْ وإيْ وإدْ، فألحق ألفاً موصولة[٢٨]. وقد نقل ابن جني هذه الطريقة حين عرض لذوق الحروف في كتابه "سرّ صناعة الإعراب" من غير أن يشير إلى مصدره، وكأنه صاحب الطريقة أصلاً، وهذا دأبه في

(٢٥) انظر: مهدي المخزومي، الخليل بن أحمد، ص ٩٦.

(٢٦) انظر: العين، ٤٧/١.

(٢٧) العين، ٤٧/١.

(٢٨) انظر: سيبويه، الكتاب، ٣٢٠/٣ - ٣٢١.

الكثير مما قبسه من الخليل أو نقله من كتاب العين بنصّه[٢٩].

لقد أظهرت التجربة للخليل أنّ الحروف كلّها تخرج من الحلق، فذهب إلى اعتماد تسلسل يبدأ من أعمقها (أدخلها) في الحلق ثم يتدرّج (الأرفع فالأرفع) حتى يصل إلى آخرها وهو الميم. ولا يزال الخليل -كما يروي الليث- يستعمل حروف (ا، ب، ت، ث) للدلالة على الحروف من غير أن يصف ترتيبها بالألفبائي أو المعجمي من جهة، ومن غير أن يطلق على ترتيبه الجديد اسماً خاصاً من جهة أخرى[٣٠]. ويبدو أن كلمة "الحلق" الواردة في المواضع المتعلقة بذوق الحروف لاتشير بالضرورة إلى مخرج "الحلق" الذي تصدر منه الأصوات الحلقية الستة. فربما كانت كلمة الحلق ههنا تدلّ على مصدر الحروف الذي تخرج منه بداية سواء أكانت تتوقف فيه أم تتجاوزه إلى مايعلوه من أعضاء أو مواضع نطقية أخرى.

٣- ويحدّد الخليل عدد الحروف التي ألّفت منها أبنية كلام العرب بتسعة وعشرين حرفاً أوردها ثلاث مرّات. ففي المرة الأولى أورد الليث تأليف الخليل للحروف التسعة والعشرين معدداً إياها دون ذكر للعدد[٣١] على حين أنه في المرة الثانية ذكر العدد وسمّى حروف العلة فقط، فقد روى عن الخليل أنه قال: "في العربية تسعة وعشرون حرفاً منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف وهي الواو والياء والألف اللينة والهمزة"[٣٢]. أما في المرة الثالثة فقد أوردها مع ذكر

(٢٩) انظر: ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ٦/١ - ٧، وانظر مثلاً على نقله من العين، ٦٥/١.

(٣٠) وردت عبارة "حروف المعجم" في رواية الأخفش الأوسط التي جاءت في كتاب التذكرة لأبي حيان ضمن سؤال للأخفش نفسه : " .. يقول: سألت الخليل بن أحمد عن حروف المعجم.."، ص ٢٩، كما وردت منسوبة إلى الليث في لسان العرب، ١٣/١.

(٣١) انظر: العين، ٤٨/١.

(٣٢) انظر: العين، ٥٧/١.

العدد مرتين، وأشار إلى أنّها مرتبة على الولاء صحيحها ومعتلّها(٣٣). والحروف التسعة والعشرون التي أوردها الليث عن الخليل هي نفسها لدى سيبويه الذي ذكر أن "أصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً"(٣٤). ثم أوردها في ترتيب مخالف للخليل. لكنه أضاف بعد ذلك حروفاً أخرى دعاها بالفروع التي أصلها من التسعة والعشرين وهي كثيرة بلغت اثنين وأربعين(٣٥). كذلك نقل الأزهري في مقدمة التهذيب رواية الليث التي ذكرناها آنفاً، ثم نقل عن غير ابن المظفر (أي الليث) عن الخليل أنها ثمانية وعشرون حرفاً. وسبب ذلك هو أنّ حروف العلة نقصت حرفاً هو الألف فبقيت منها ثلاثة هي الهمزة والياء والواو(٣٦). غير أنّ هناك رواية عن الليث جاءت في "تذكرة النحاة" لأبي حيان تحدّد عدد الحروف بثمانية وعشرين، منها خمسة وعشرون حرفاً من الصحاح. أما المعتلة فلم تذكر ولذلك لانعرف أيّ حرف منها أُسقط من العدد(٣٧). كذلك روي في "التذكرة" عن الأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥هـ) أنه سأل الخليل عن حروف المعجم وعن أحيازها ومجاريها إلى الفم، فأجابه بأنها ثمانية وعشرون أصلاً. لكنه ذكر في تضاعيف روايته تسعة وعشرين حرفاً مضيفاً إليها النون الخفية التي تخرج من الخياشيم(٣٨). ويبدو أنّ هاتين الروايتين اللتين تنسبان إلى كتاب لجنادة الهروي الأزدي (ت ٣٩٩هـ) تحتاجان إلى توثيق آخر حتى يركن الباحث إلى صحة ماجاء فيهما. وإذا عرف الباحث ماتعرّض له كتاب

(٣٣) انظر: العين، ٥٨/١.

(٣٤) سيبويه، الكتاب، ٤٣١/٤.

(٣٥) انظر: الكتاب، ٤٣٢/٤. ويعني أن الحروف التسعة والعشرين صارت مع الفروع اثنين وأربعين.

(٣٦) انظر: التهذيب، ٤٨/١، ٥٠.

(٣٧) انظر: التذكرة، ص ٢٥- ٢٦.

(٣٨) انظر: التذكرة، ص ٢٩ - ٣١. وقد ذكر الأخفش الواو والياء مرتين، مرة مع الجوف (ص ٢٩)، وأخرى مع الصحاح دون تفريق (ص ٢٩ - ٣٠).

"التذكرة" من خلط وخلل صار الاعتماد على ماورد فيه وحده أمراً غير مطمئن. أما ابن جني فقد أكّد "أن أصول حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفاً". لكنه ذكر أنّ المبرّد (ت ٢٨٥هـ) يعدّها ثمانية وعشرين ويدع الألف التي هي في أول الحروف (أ، ب، ت، ث...)، لأنها همزة لاتثبت على صورة، ويجعل الباء أول الحروف. ويردّ ابن جني على المبرّد مبيّناً أنها موجودة في اللفظ الذي هو قبل الخط، فسبيلها أن تعتد حرفاً كغيرها(٣٩). وهكذا يتبين أنّ هذا الاختلاف مبعثه سبب كتابي وصرفي يتصل بالألف اللينة تارة وبالهمزة (الألف اليابسة) تارة أخرى. وسنرى لاحقاً شيئاً من هذا الاختلاف عند الخليل نفسه.

٤- وبعد أن أملى الخليل ملحوظات تتصل بالأبنية والمخارج رتّب الحروف التسعة والعشرين على هذا النحو (ع ح هـ خ غ، ق ك، ج ش ض، ص س ز، ط د ت، ظ ذ ث، ر ل ن، ف ب م)، وهذه هي الحروف الصحاح. ثم (و ا ي ء) وهي حروف العلة(٤٠). ويلاحظ أنّ هذا الترتيب مخالف لِما اعتمده سيبويه وابن جني وغيرهما من علماء اللغة والتجويد. فسيبويه عرض حين تحدث عن المخارج هذه الصورة للترتيب (ء هـ ا، ع ح، غ خ، ق، ك، ج ش ي، ض، ل، ن، ر، ط د ت، ز س ص، ظ ذ ث، ف، ب م و)(٤١). وذكر ابن جني أن "هذا هو ترتيب الحروف على مذاقها وتصعّدها، وهو الصحيح، فأمر ترتيبها في كتاب العين ففيه خطل واضطراب ومخالفة لما قدمناه آنفاً ممّا رتبه سيبويه وتلاه أصحابه عليه، وهو الصواب الذي يشهد التأمل له بصحته"(٤٢).

(٣٩) انظر: ابن جني، سرّ الصناعة، ٤١/١ - ٤٣.

(٤٠) انظر: العين، ٥٨/١.

(٤١) انظر: الكتاب، ٤٣٣/٤ - ٤٣٤.

(٤٢) انظر: سرّ الصناعة، ٤٥/١ - ٤٦.

لكن بعض اللغويين القدامى جعل من هذا الترتيب الوارد في كتاب العين والمخالف لترتيب البصريين ولا سيما سيبويه تلميذ الخليل وحامل علمه سبيلاً للطعن في العين، ونسبته إلى الخليل. وقد نقل عن الزُبيدي (ت ٣٧٩هـ) أنّ من أسباب عدم الوثوق بنسبة العين للخليل "أن جميع ماوقع فيه من معاني النحو إنما هو على مذهب الكوفيين وبخلاف مذهب البصريين. فمن ذلك مابدئ الكتاب به، وبنى عليه من ذكر مخارج الحروف في تقديمها وتأخيرها، وهو على خلاف ماذكره سيبويه عن الخليل في كتابه..."(٤٣) وكان المفضل بن سلمة الكوفي (ت ٢٥٠هـ) قد سبق إلى الاعتراض على الابتداء بالعين من غير أن ينسب ذلك إلى الكوفيين: "ذكر صاحب العين أنه بدأ كتابه بحرف العين، لأنها أقصى الحروف مخرجاً. قال: والذي ذكره سيبويه أن الهمزة أقصى الحروف مخرجاً. قال: ولو قال: بدأت بالعين لأنها أكثر في الكلام وأشدّ اختلاطاً بالحروف لكان أولى"(٤٤). ونقل ابن كيسان (ت ٢٩٩هـ) وهو نحوي كوفي عمن سمع الخليل أنه قال "لم أبدأ بالهمزة لأنها يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف لأنها لاتكون في ابتداء كلمة، ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لاصوت لها، فنزلت إلى الحيز الثاني وفيه العين والحاء فوجدت العين أنصع الحرفين فابتدأت به ليكون أحسن في التأليف. وليس العلم بتقدم شيء على شيء، لأنه كله مما يحتاج إلى معرفة، فبأي بدأت كان حسناً، وأولاها بالتقديم أكثرها تصرفاً"(٤٥). وروى الأزهري من غير طريق الليث مايشبه رواية ابن كيسان في الحديث عن الهمزة والألف: "فأما الهمزة فلا هجاء لها، إنما تكتب مرة ألفاً ومرة واواً ومرة ياء. فأما الألف اللينة فلا صرف لها... فالألف اللينة هي أضعف الحروف

(٤٣) المزهر، ١/٨٥.

(٤٤) المزهر، ١/٩٠.

(٤٥) المزهر، ١/٩٠.

المعتلة،والهمزة أقواها متناً.ومخرجها من أقصى الحلق من عند العين"(٤٦).

والحقّ أنّ الموازنة بين عمل الخليل ممّا رواه الليث عنه من جهة، وما استقرّ عليه الدرس الصوتي عند سيبويه من جهة أخرى لاتستوفي الشروط التي تسوّغها. إذ كان سيبويه متوفّراً على تقديم خلاصة للدرس الصوتي من جماع آراء شيوخه وما استقرت عليه حلقات العلم في عصره، وسوقها لفهم الإدغام. ويلاحظ أنه تجنّب في الصفحات القليلة التي أوجز فيها المعلومات الصوتية الأساسية أسلوبه المعتاد في الحكاية عن شيوخه أو سؤالهم أو محاورتهم. على حين أنّ الخليل لم يكن متوفراً على عمله هذا التوفّر بسبب ماذكرناه من طبيعة رواية الكتاب، كما لم يكن قاصداً ترتيب المعلومات الصوتية على شكل دراسة شاملة موضوعة في إطار تأليفي معهود. إنما كان مهتمّاً بالوقوف على قواعد التشكيل الصوتي وصولاً إلى ابتناء معجم شامل. ويؤكد ذلك أنّ مقدمة العين تخلو من معلومات صوتية مهمّة كان يفترض ورودها في أول الكتاب كالهمس والتفخيم والغنة، لكنها وردت في مواضع أخرى متفرقة(٤٧).

أما ابتداؤه بالعين خاصّة فقد أوضحت أسبابه تلك النقول التي أثبتناها آنفاً ولا سيما ماذكره ابن كيسان وما رواه الأزهري ممّا يؤكد معرفة الخليل بمخرج الهمزة – وقد ذكر ذلك الليث في المقدمة– وعدوله عن الابتداء بها لأسباب رأيناها فيما تقدّم. فليس هناك تناقض فيما رواه الليث عن الخليل الذي ذكر أن الهمزة "مخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة، فإذا رفّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح"(٤٨). وذكر أنّ "أقصى الحروف كلّها العين"(٤٩) لأنّ الهمزة حرف معتل ليست له صورة ثابتة صوتياً وخطياً بسبب قربه من حروف العلة

(٤٦) التهذيب، ١/٥١ .

(٤٧) انظر، العين، ٤/١٠ – ١١، ٧/١٥، ٨/١٦٧، ٤/١٤٢، ٨/١٧٤.

(٤٨) العين، ١/٥٢.

(٤٩) العين، ١/٥٧، ٦٠.

ومن حيث كونه هاوياً في الهواء وليس له حيّز ينسب إليه. أما العين فهي أقرب الحروف الصحاح إلى الجوف (الخلاء الداخل إلى الحلق) وتشغل الحيز الثاني من أحياز الأصوات وتمتاز بالنصاعة، فابتدأ بها الخليل لغاية تشكيلية معجمية. ويمكن مع ذلك ابتناء ترتيب خليليّ آخر للأصوات يقرب من ترتيب سيبويه إذا أخذ الباحث في الحسبان الروايات المتعدّدة التي ضمّنت آراء أخرى للخليل ممّا لانجده لدى الليث.

وليس لدينا دليل على أنّ الكوفيين انفردوا بعلم خاص للأصوات، على نحو ماأوحت به عبارة الزُّبيدي علماً بأن الخليل رأس اللّغويين عامة وإن عُدّ بصرياً. وليس كون سيبويه تلميذاً للخليل ونقله عنه جلّ علمه بمانع الخليل من أن تكون له جهود أخرى بعيدة عمّا اختصّ به تلميذه الأول سيبويه، ولا سيما إذا كان مجال التوظيف مختلفاً.

٥- وقسم الخليل الأصوات التسعة والعشرين إلى قسمين: صحاح أي صوامت، وجوف أي صوائت. فقد روى الليث أن الخليل قال: "في العربية تسعة وعشرون حرفاً: منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف وهي: الواو والياء والألف اللينة والهمزة"[٥٠]. ورأى الخليل أنّ الصحاح هي التي تقع في مدارج محدّدة من مدارج اللسان أو الحلق أو اللهاة ولها حيِّز تنسب إليه وموضع تسمّى به، فتكون حلقية أو لهوية أو شجرية أو أسلية... أما العِلل فليس لها ماذكرنا من مواضع محدّدة تخرج منها، فلا تنسب إلى شيء من الأحياز أو المدارج أو المخارج، إنما تنسب إلى الجوف والهواء[٥١].

وتختلف الروايات في عدد هذه الأحرف المعتلة ممّا يسبب اختلافاً في عدد المجموعة الصوتية كما رأينا سابقاً. فالليث يروي في "العين" عن الخليل أنها أربعة أحرف هي

(٥٠) العين، ٥٧/١، والتهذيب، ٤٨/١ - ٥٠.

(٥١) انظر: العين، ٥٧/١ - ٥٨، والتهذيب، ٤٨/١.

الواو والياء والألف اللينة والهمزة[٥٢]. كذلك نقل الأزهري عن الليث أنها أربعة يقال لها حروف العِلل، إضافة إلى أنها جوف وهوائية[٥٣]. لكن الأزهري ينقل من رواية أخرى ليست للّيث عن الخليل تجعل الحروف ثمانية وعشرين حرفاً تقسم إلى نحوين: معتل وصحيح. والمعتل منها ثلاثة هي الهمزة والياء والواو[٥٤]. ثم ينقل قولاً لاحقاً يذكر فيه أن الحروف المعتلة أربعة هي الهمزة والألف اللينة والياء والواو. وينقل بعد ذلك كلاماً مهمّاً عن سبب جعلها معتلة وعن مبدئها وتشكّلها واختلاف بعضها كالواو والياء في حالتي الاعتلال والقوّة، أي في حال كونهما صائتين أو نصفي صائتين[٥٥]. كذلك نجد الأخفش الأوسط يجعلها ثلاثة لاأربعة -وهو يعدّ عن الخليل حروف العربية ثمانية وعشرين- هي الياء والواو والألف التي يصفها بالجوف لبدوّها من الجوف[٥٦].

وليس لدى الليث فيما رواه عن الخليل في مقدمة العين تفسير لمصطلح "حُروف العلة "ماخلا إشارة يفهم منها أن حروف العلة فيها لين وتغيّر يجعلها مختلفة عن الحروف الصحاح[٥٧]. لكنّ الأزهري يورد مراراً مصطلح "حروف العلة أو العلل"، ويروي تفسيراً لها منسوباً إلى الخليل عن غير طريق الليث. قال: "واعتلالها تغيرها من حال إلى حال، ودخول بعضها على بعض، واستخلاف بعضها من بعض. قال: وسائر الحروف صحاح لاتتغيّر عن حالها أبداً غير الهاء المؤنثة..."[٥٨] وقال بعد ذلك:

(٥٢) انظر: العين، ٥٧/١ - ٥٩.

(٥٣) انظر: التهذيب، ٤٨/١ - ٥٠.

(٥٤) انظر: التهذيب، ٥٠/١.

(٥٥) انظر: التهذيب، ٥١/١ - ٥٢.

(٥٦) انظر: التذكرة، ص ٢٩.

(٥٧) انظر: العين، ٥٢/١.

(٥٨) انظر: التهذيب، ٥٠/١.

"والعويص في الحروف المعتلة وهي أربعة أحرف: الهمزة والألف اللينة والياء والواو. فإما الهمزة فلا هجاء لها، إنما تكتب مرة ألفاً ومرة واواً ومرة ياءً، فأما الألف اللينة فلا صرف لها، إنما هي جرس مدة بعد فتحة، فإذا وقعت عليها صروف الحركات ضعفت عن احتمالها واستنامت إلى الهمزة أو الياء أو الواو...."[٥٩].

ويؤكد هذان النقلان وجهة الخليل الصرفية التي جعلته ينحّي الهمزة والألف عن أن يبدأ بهما ترتيبه المعجمي، فكلاهما كثير التغيّر لاتثبت له صورة في الخط، كما أنه عرضة للحذف لفظاً[٦٠].

أما السمات الصوتية التي تميّز هذه الحروف من غيرها من الصحاح، فقد ذكر الليث منها أنها جوف وهوائية وهاوية في الهواء وليس لها حيّز تنسب إليه على طريقة الصحاح[٦١]. لكن ذلك لايمنع من أن يكون لها حيّز أو أكثر تنسب إليه نظراً لمبدئها كالجوف أو الهواء على غير طريقة الصحاح. كما لايمنع من أن تختلف مجاريها وتتباين مباديها، فيكون لكل منها حيّز متدرّج[٦٢]. فحروف العلة التي لاتنسب إلى حيّز أو مدرجة حين تقارن بالصحاح أو تنسب إلى الهواء والجوف تقريباً تختلف مدارجها حين تعالج بمعزل عن الصحاح.

فالهمزة من أقصى الحلق من عند العين[٦٣]. وهي في الهواء وتخرج من الجوف. أما الياء والواو والألف فأصلهنّ من عند الهمزة، وإن كن يجرين في مجرى واحد مع اختلاف المدارج. وتتصف الهمزة أيضاً بكونها وسطاً بين الصحاح والعلل من حيث

(٥٩) التهذيب، ٥١/١.

(٦٠) انظر: التهذيب، ٥٢/١.

(٦١) انظر: العين، ١/ ٥٧ – ٥٨.

(٦٢) انظر: التذكرة، ص ٢٩.

(٦٣) انظر: التهذيب، ٥١/١، والعين، ٥٢/١، ٥٨.

قربها من مخرج الحلق ولا سيما مخرج العين مما سوّغ إبدالها من العين أو من الغين التي تجاورها أيضاً كما نقل الأخفش عن الخليل[٦٤]. ويبدو أنّ الهمزة في حال كونها مهتوتة مضغوطة تقترب -كما يفهم مما تقدّم- من الصحاح، على حين أنها تلين وتصير الياء والألف والواو على غير طريقة الحروف الصحاح إذا رفّه عنها[٦٥]. وربّما كان المقصود بالهتّ والضغط مايستشعره الناطق بالهمزة من عصر وشدّ وانحباس نتيجة انطباق لسان المزمار انطباقاً تاماً ثم انفراجه سريعاً. أما لين الهمزة فهو كما يظنّ عدول الناطق عن الهمز أي الضغط إلى جريان الهواء داخل فراغ الحنجرة دون حبس. فالهمزة وإن عدّها الخليل من حروف العلة بسبب كثرة مايعتريها من تغيير يقلبها حرفاً من حروف العلة تبقى أقوى هذه الحروف متناً[٦٦].

أما الألف اللينة والواو والياء فهي جوف وهوائية، ولها حيّز واحد يجمعها مع الهمزة تارة[٦٧]، ويستقل بها دون الهمزة تارة أخرى[٦٨]. ويبدو أنّ مايجمع هذه الحروف مع الهمزة هو قرب مباديها إذ أصل مبتدئهن من عند الهمزة[٦٩] وكثرة تحوّل الهمزة إلى ياء أو واو أو ألف. أما مايجعلها مختلفة عنها فاتصافها -كما يروي الأخفش عن الخليل- باللين وامتداد الصوت لذلك سميت حروف المدّ واللين[٧٠]. ونجد لدى الأزهري عن طريق آخر غير الليث وصفاً لهذه الحروف وهي في حالة اللين والاعتلال.

(٦٤) انظر: التذكرة، ص ٢٩.

(٦٥) انظر: العين ٥٢/١، والتهذيب، ٤٤/١.

(٦٦) انظر: التهذيب، ٥١/١.

(٦٧) انظر: العين، ٥٨/١.

(٦٨) انظر: العين، ٥٧/١ – ٥٨.

(٦٩) انظر: التهذيب، ٥١/١.

(٧٠) انظر: التذكرة، ص ٢٩.

"فالواو الساكنة بعد الضمة، والياء الساكنة بعد الكسرة، والألف اللينة بعد الفتحة"[٧١] وتكون هذه الحروف في مجرى واحد مبدؤه من عند الهمزة إلا أن مدارج أصواتها مختلفة. ويبدو أنّ المقصود بالمدارج هنا أمكنة التشكّل وهيئاته على نحو قريب من الوصف الحديث للصوائت[٧٢]. "فمدرجة الألف شاخصة نحو الغار الأعلى، ومدرجة الياء مختفضة نحو الأضراس، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين وأصلهن من عند الهمزة"[٧٣].

ويظهر في النقلين السابقين كليهما (عن الأخفش والأزهري) التفات الخليل إلى التفريق بين الألف من جهة والياء والواو من جهة أخرى. فالألف اللينة هي أضعف الحروف المعتلة التي تختلف حالتها فتجري على مجارٍ شتى"[٧٤]. على حين أنّ الواو والياء لهما صورتان، إحداهما صورة الاعتلال وهي التي وصفناها آنفاً نقلاً عن الأزهري وهي المقصودة بكلام الليث المنقول عن الخليل في العين، والأخرى صورة الصحّة والقوّة التي تجعلهما ينسبان إلى مخرجين من مخارج الصحاح. فالياء تشارك الجيم في مخرج، والواو تشارك الباء والميم في مخرج آخر كما يروي الأخفش[٧٥]. أما مانقله الأزهري منسوباً إلى الخليل فهو أكثر وضوحاً في الدلالة على حالة "أنصاف الصوائت أو الصوامت" التي بيّنها الدرس الصوتي الحديث. "فالواو والياء إذا جاءتا بعد فتحة قويتا، وكذا إذا تحركتا كانتا أقوى"[٧٦] فهما في هذه الحالة لايسقطان حين التقائهما بساكن، بل يتحركان كما تتحرك الصحاح.

---

(٧١) التهذيب، ٥١/١.

(٧٢) انظر موجزاً لهذا الوصف في كتابنا مبادئ اللسانيات، ص ٨٨ – ٩٥.

(٧٣) انظر: التهذيب، ٥١/١.

(٧٤) انظر: التهذيب، ٥١/١ – ٥٢.

(٧٥) انظر: التذكرة، ص ٢٩ – ٣٠.

(٧٦) التهذيب، ٥٢/١.

٦– أما الحروف الصحاح فقد قرّر الخليل لها مخارج محدّدة، ثم جمع ماتقارب منها في ألقاب استمدّها من أعضاء النطق. لكن الخليل لم يعيّن عدداً للمخارج على نحو مارأيناه لدى سيبويه ومن تلاه كابن جني وغيره. وقد نُسب -مع ذلك- إلى الخليل أنه جعلها سبعة عشر مخرجاً، وذهب هذا المذهب ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ) وأكثر القراء والنحويين. أما سيبويه وابن جني والشاطبي فقد عدّوا ستة عشر مخرجاً وأسقطوا مخرج الجوف. وذهب آخرون كقطرب والجرمي والفراء إلى أنها أربعة عشر مخرجاً. وسبب ذلك أنهم أسقطوا مخرج الجوف وجعلوا مخارج اللام والراء والنون مخرجاً واحداً[٧٧]. لكن الأخفش الأوسط يروي عن الخليل أن حروف العربية هي ثمانية وعشرون أصلاً ولها ستة عشر حيّزاً[٧٨].

ويروي الليث عن الخليل في مقدمة العين تأليفه للحروف منطلقاً من الحلق، لأنه بعد أن دبّر ونظر وذاق الحروف وجد أن مخرج الكلام كلّه من الحلق، فصيّر أولاها بالابتداء أدخل حرف منها في الحلق ثم وضعها على قدر مخرجها من الحلق[٧٩]. وهكذا كانت بداية ترتيب الحروف عند الخليل من الحلق باتجاه الفم فالشفتين. ثم عرض الخليل للمخارج عرضاً غير مستقصٍ حين تحدّث عن فكرة الذلاقة والإصمات، وهي من بدائع ماأتى به في هذا العمل الرائد. ويبدو أنّ حديثه في هذا الموضع كان عاماً، فقد جمع مخارج متعدّدة في مخرج واحد (كالجيم والقاف والكاف، واللام والراء والنون، والفاء والباء والميم، والعين والحاء والهاء والخاء والغين)[٨٠].

---

(٧٧) انظر: ابن جني، سرّ الصناعة، ٤٦/١ – ٤٨، ومكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، ص ٢١٧، وابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ١٩٨/١ – ١٩٩، وزكريا الأنصاري، الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية، ص ٤٠.

(٧٨) انظر: التذكرة، ص ٢٩.

(٧٩) انظر: العين، ٤٧/١ – ٤٨.

(٨٠) انظر: العين، ٥١/١ – ٥٢.

أما حديثه المفصّل للمخارج فقد جاء في موضع آخر حين قسم الحروف إلى صحاح -وهي خمسة وعشرون كما تقدّم - لها أحياز ومدارج، وعلل أو جوف - وهي أربعة- ليس لها حيّز تنسب إليه إلا الجوف فهي هوائية. وكان طبيعياً أن يبتدئ بمخارج الحلق وفاءً بما كان قرّر بعد النظر والتدبّر.

أ- فالهمزة بحسب أحد أقوال الخليل تخرج من "أقصى الحلق" وهي مهتوتة مضغوطة، أما إذا رفّه عنها فإنها تلين وتصير ياء أو واواً أو ألفاً على غير طريقة الحروف الصحاح[٨١]. وتسقط الهمزة من عدة الصحاح بحسب آراء أخرى فلا يكون لها حيّز لأنها في الهواء أو هوائية أو جوفية أو معتلة. أما العين والحاء والهاء والخاء والغين فتخرج من الحلق ولها حيّزان: الأول وهو "الأقصى" ويكون للعين -وهي أقصى الحروف أيضاً في رواية أخرى- ثم الحاء ثم الهاء. والثاني "الأدنى" ويكون للخاء والغين[٨٢]. ويضيف الخليل كما يروي النضر بن شميل إلى المخرج الثاني الهمزة[٨٣]. أما رواية الأخفش فتجعل الهمزة والهاء والحاء والعين معاً (دون ذكر حيّز أو مخرج)، على حين تبقي الغين والخاء في مدرجة تالية[٨٤]. ويروي ابن كيسان -كما جاء في المزهر- عمّن سمع من الخليل كلاماً يبرّئ الخليل من تضارب الآراء إن صحّت روايتها عنه دون تغيير. يقول ابن كيسان: "سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال: لم أبدأ بالهمزة، لأنها يلحقها النقص والتغير والحذف، ولا بالألف، لأنها لاتكون في ابتداء كلمة ولا في اسم ولا فعل إلا زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لاصوت لها، فنزلت إلى الحيز الثاني وفيه العين والحاء فوجدت العين أنصع الحرفين فابتدأت به

(٨١) انظر: العين، ٥٢/١.

(٨٢) انظر: العين، ٥٧/١ - ٥٨.

(٨٣) انظر: التذكرة، ص ٢٧.

(٨٤) انظر: التذكرة، ص ٢٩.

ليكون أحسن في التأليف"[٨٥]. ويتّفق هذا الكلام وتقسيم سيبويه للمخارج، إذ جعل الصحاح والعلل على صعيد واحد، فابتدأ بالهمزة والألف والهاء ولها أقصى الحلق، ثم العين والحاء، ولها وسط الحلق ثم الغين والخاء ولها أدنى الحلق[٨٦].

ب- وجعل الخليل القاف والكاف والجيم -في رواية[٨٧]- في مخرج واحد يكون بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم. لكنه عدل عن هذا الجمع مع دقّة الوصف إلى جعل القاف والكاف لهويتين، والكاف أرفع[٨٨]. ويشير هذا إلى الفصل بين مخرجين وإن كانت التسمية واحدة. ويؤيد هذا الفصل ماجاء في رواية النضر بن شميل من انفراد كل واحد منهما، فقلّ وقوع البدل بينهما لذلك[٨٩]. وتؤكد رواية الأخفش الأوسط هذا الفصل، لكنها تضيف شرحاً لخروج القاف والكاف ربّما فهم منه تقديم الكاف على القاف، وهو مالم يثبت لدى القدامى. فقد نصّ سيبويه ومن تلاه على أنّ القاف من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى، على حين أن الكاف من أسفل من موضع القاف من اللسان قليلاً ومما يليه من الحنك الأعلى[٩٠].

ج- ثم جعل الخليل الجيم والشين والضاد في حيّز واحد هو شجر الفم، أي مفرجه. وليس لدى الليث من روايته عن الخليل شيء آخر يشير إلى فضل بيان لهذه الحروف. لكن النضر بن شميل يذكر أن الخليل قال إن "الشين والجيم والياء شجْرية، لأن مبدأها من الشجر، ومجراها على وسط اللسان ووسط الحنك... ثم الضاد، وهي حافية لأنها من حافة

(٨٥) المزهر، ٩٠/١.

(٨٦) انظر: الكتاب، ٤٣١/٤ - ٤٣٣.

(٨٧) انظر: العين، ٥٢/١.

(٨٨) انظر: العين، ٥٨/١.

(٨٩) انظر: التذكرة، ص ٢٧.

(٩٠) انظر: التذكرة، ص ٢٩، وقارن بالكتاب، ٤٣٣/٤.

اللسان وما يليها من الأضراس"[٩١] وتؤيد رواية الأخفش الأوسط هذا التقسيم، إذ يجعل الخليل بحسب هذه الرواية الشين بعد الكاف ثم الجيم ثم الياء. وتضطرب المطبوعة بعد هذا الموضع، لكن المرجّح -بعد النظر في سياق الكلام- أنه ذكر الضاد بعد ذلك[٩٢]. ويبدو أن لقب "شجرية" يعمّ الشين والجيم والياء والضاد، لذلك نقل عن الليث في التذكرة أن الخليل يسمّي الضاد شجرية[٩٣]. وليس هناك مايمنع الجمع بين روايات الليث والنضر والأخفش فتكون الشين والجيم والياء من مخرج واحد ثم الضاد من مخرج تالٍ يجمعهما لقب الشجرية لأنهما من شجر الفم حقيقة. وليس في هذا الجمع نقص ماخلا إهمال تلقيب الضاد بالحافيّة لأنها من حافة اللسان، وهو مالم يشع عند القدامى مع أنهم أفردوا الضاد بمخرج مستقل ونصّوا على أنها تخرج من أول حافة اللسان[٩٤].

د - ويلي ذلك من مخارج الصحاح مخرج الصاد والسين والزاء وهي في حيّز واحد، ومبدؤها من أسلة اللسان وهي مستدقّ طرف اللسان[٩٥]. وجاء في رواية النضر عن الخليل "الصاد والسين والزاي أسلية لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهو مستدقّ طرفه"[٩٦] أما في رواية الأخفش فقد ذكر العضو الثاني الذي يسهم في إخراج هذه الطائفة. يقول الأخفش: "ثم الصاد والسين والزاي ولها من وسط اللسان شباته ومن فويق الثنايا سراته"[٩٧]. ويماثل هذا الوصف وصف سيبويه في الكتاب[٩٨].

(٩١) التذكرة، ص ٢٧.

(٩٢) انظر: التذكرة، ص ٢٩ – ٣٠.

(٩٣) انظر: التذكرة، ص ٢٨.

(٩٤) انظر: الكتاب، ٤/٤٣٣، وسرّ الصناعة، ١/٤٧، والرعاية، ص ١١٤، والنشر، ١/٢٠٠، والدقائق المحكمة، ص ٤٤.

(٩٥) انظر: العين، ١/٥٨.

(٩٦) التذكرة، ص ٢٧.

(٩٧) التذكرة، ص ٣٠.

(٩٨) انظر: الكتاب، ٤/٤٣٣.

هـ- ثم ذكر الخليل الطاء والدال والتاء وجعلها في حيّز واحد، وهي نطعية، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى[٩٩]. وتضيف روايتا النضر والأخفش العضو الثاني الذي تجري عليه هذه الأحرف. ففي رواية النضر: "ثم الطاء[١٠٠] والدال والتاء نطعية، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى ومجراها على طرف اللسان وأصول الثنايا"[١٠١]. وفي رواية الأخفش: "ثم الطاء والدال والتاء من طرف اللسان وأطراف الثنايا"[١٠٢]. ومجموع هذه الروايات المنسوبة إلى الخليل أكبر مما جاء لدى سيبويه[١٠٣].

و - وتأتي الظاء والذال والثاء في حيّز واحد، وهي لثوية، لأن مبدأها من اللثة[١٠٤]. وفي روايتي النضر والأخفش تفصيل لما أجمله الليث. فالنضر ينقل عن الخليل قوله: "ثم الظاء والذال والثاء لثوية، لأن مبدأها من اللثة، ومجراها بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العلا"[١٠٥]. وفي رواية الأخفش: "ثم الظاء والذال والثاء مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا"[١٠٦]. ويطابق وصف سيبويه لهذه الأحرف مارواه الأخفش تماماً[١٠٧].

ز - ثم تأتي الراء واللام والنون في حيّز واحد، وهي ذلقية، لأن مبدأها من ذلق اللسان، وهو تحديد طرفي ذلق اللسان[١٠٨]. وفي موضع آخر من المقدمة أنها ذليقة

(٩٩) انظر: العين، ١/٥٨.

(١٠٠) في مطبوعة التذكرة "الظاء" معجمة وهو خطأ. انظر: التذكرة، ص ٢٨.

(١٠١) التذكرة، ص ٢٨.

(١٠٢) التذكرة، ص ٣٠.

(١٠٣) انظر: الكتاب، ٤/٤٣٣.

(١٠٤) انظر: العين، ١/ ٥٨.

(١٠٥) التذكرة ، ص ٢٨.

(١٠٦) التذكرة، ص ٣٠.

(١٠٧) انظر: الكتاب، ٤/٤٣٣.

(١٠٨) انظر: العين، ١/٥٨.

تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم[١٠٩]. ويشير الليث في موضع ثالث إلى أن الراء واللام والنون انحرفن عن ظهر اللسان،وأن اللسان لاينطلق إلا بالراء واللام والنون[١١٠]. وهناك رواية أخرى لليث عن الخليل في "التذكرة"، فيها شيء من الإيضاح والزيادة كعبارة "مخارج". يقول: "والحيز الآخر حيّز اللام، فيه ثلاثة أحرف: الراء واللام والنون مخارجها من مدرجة واحدة من أسلة اللسان وبين مقدم الغار الأعلى"[١١١]. وتنفرد رواية النضر عن الخليل بتفصيل وافٍ يفهم منه أن هذه الأحرف لها مبدأ واحد ثم يستقل كل منها بمخرج مستقل. يقول النضر: "ثم الراء واللام والنون ذُلق، والواحد أذلق، لأن مبدأها من ذلق اللسان وهو كذلق السنان، وذلق كل شيء تحديد طرفه. وهذه الحروف يجمعها الذلق ويفرقها المنطلق، لأن مجرى اللام من حافات اللسان إلى منتهى طرفه، ومجرى النون بين فويق الثنايا من طرف اللسان، وأما الراء فمنحرفة من مخرج النون إلى اللام لمزية دموجها في ظهر اللسان عند الكلام، ولقرب مخارجها يبدل بعضها ببعض"[١١٢]. وفي رواية الأخفش تفصيل آخر مهمّ، يقول:" ثم من حروف اللسان إلى منتهاه مبدأ اللام، وهو من البدل والجريان في حيّز التمام، لأن مجراه فيما بينها وبين مايليها من الحنك الأعلى والشبك المثنى معارضاً لأصول الثنايا والرباعيات مشاركاً لبعضها في الانحراف. ثم النون المتحركة ولها بدل الكفاف لحقّ القرب والتحرّك والانحراف، ومعنى الكفاف: أنه لايدغم في النون المتحركة غير اللام، فكأنه لافضل فيه لغيره وهي مشربة غنة، وتخرج هذه النون من طرف اللسان بينه وبين مافويق الثنايا، وأقرب الحروف منها اللام... ثم الراء بينهما، وهو أدمج من النون في

(١٠٩) انظر: العين، ١/ ٥١.

(١١٠) انظر: العين، ٥٢/١.

(١١١) التذكرة، ص ٢٦.

(١١٢) التذكرة، ص ٢٨.

العكد لانحرافه إلى اللام كالمستعكد"[١١٣]. وليس لدى سيبويه -مع افتقاره إلى الكثير مما تقدّم- زيادة على هذا الوصف المستوفي إلا ذكر الضاحك والناب في وصف اللام[١١٤]. وإذا أخذ المرء بما جاء في الروايات السابقة كلّها ظهر مقدار ماأوتي الخليل من معرفة واسعة بآليات النطق وأحيازه.

ح – وجاء في الحيّز الأخير الفاء والباء والميم، وهي شفوية أو شفهية، لأن مبدأها من الشفة[١١٥]. وجاء في موضع آخر من المقدمة :" ثلاثة شفوية : ف ب م، مخرجها من بين الشفتين خاصّة، لاتعمل الشفتان في شيء من الحروف الصحاح إلا في هذه الأحرف الثلاثة فقط"[١١٦]. وكان الخليل -كما روى الليث- يسمّي الميم مطبقة، لأنها تطبق الفم إذا نطق بها[١١٧]. وعن الليث في كتاب التذكرة إضافة هي أن هذه الأحرف لاعمل للسان في شيء منها[١١٨].

وفي رواية النضر: "ثم الباء والميم والواو شفهية.. والفاء من حروف الشفة"[١١٩].

أما رواية الأخفش فأوضح في التحديد من سابقتها. يقول الأخفش نقلاً عن الخليل: "ثم الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلا. ثم الباء والميم والواو من بين الشفتين"[١٢٠]. وهكذا تمّت الصورة، إذ صار للحروف الشفوية مخرجان، أحدهما

(١١٣) التذكرة، ص ٣٠.

(١١٤) انظر: الكتاب، ٤/ ٤٣٣.

(١١٥) انظر: العين، ٥٨/١.

(١١٦) العين، ٥١/١ - ٥٢.

(١١٧) انظر: العين، ٥٨/١.

(١١٨) انظر: التذكرة، ص ٢٦.

(١١٩) التذكرة، ص ٢٨.

(١٢٠) التذكرة، ص ٣٠.

للفاء والآخر للباء والميم والواو غير المديّة[١٢١] . وإذا أخذ المرء في الحسبان تلك الروايات المنسوبة إلى الخليل وهي تنقل أبعاضاً من مقدمة العين تبيّن له أنّ ماورد لدى سيبويه ماهو إلا إيجاز لمعلومات جمّة تنسب إلى الخليل وحده كما جاء في تلك الروايات. أما مااعترى رواية المقدمة عند الليث من إيجاز واضطراب فمردّه إلى مبلغ ماأخذ الليث من الخليل ممّا له توظيف معجمي من جهة، ومقدار ماأصاب تدوين كتاب العين ونسخه من خلل زيادة أو نقصان من جهة أخرى.

٧- وقسم الخليل الحروف إلى مجموعات متقاربة اشتقّ أسماءها من أسماء المواضع التي تخرج منها الحروف. فقال[١٢٢] :

١- الحلقية، لأن مبدأها من الحلق وهي العين والحاء والهاء والخاء والغين والهمزة.

٢- اللهوية، لأن مبدأها من اللهاة، وهما لهويتان: القاف والكاف.

٣- الشجرية، لأن مبدأها من شجر الفم، وهي الشين والجيم والضاد والياء.

٤- الأسلية، لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهي الصاد والسين والزاي.

٥- النطعية، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى، وهي الطاء والدال والتاء.

٦- اللثوية، لأن مبدأها من اللثة. وهي الظاء والثاء والذال.

٧- الذلقية، لأن مبدأها من ذلق اللسان، وهي الراء واللام والنون.

٨- الشفهية والشفوية، لأن مبدأها من الشفة، وهي الفاء والباء والواو والميم.

٩- الجوفية أو الهوائية، وليس لها حيّز على طريقة الصحاح فتنسب إلى الجوف أو الهواء. وهي الألف اللينة والواو والياء المدّيتان.

---

(١٢١) انظر: الكتاب، ٤/٤٣٣.

(١٢٢) انظر: العين، ١/٥٨.

ويؤكد مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) صاحب كتاب "الرعاية..." نسبة هذه الألقاب إلى الخليل في مقدمة كتاب العين. يقول: ".. وبقيت عشرة ألقاب تمام أربعة وأربعين لقباً، لقّبها بذلك الخليل بن أحمد في أول كتاب العين، جعل ألقابها عشرة مشتقة من أسماء المواضع التي تخرج منها الحروف.."[١٢٣]. ويذكر مكي في كل موضع ماعدا الموضع الأخير (الهوائية) لأنه مكرّر أنّ الخليل هو الذي سمّاهن بذلك[١٢٤]. كذلك أكّدت النقول المستمدة من المقدمة أو المنسوبة إلى الخليل في "التهذيب" و "التذكرة" نسبة تلك الألقاب إلى الخليل[١٢٥].

ويقطع الدكتور إبراهيم أنيس بأن نسبة هذه المصطلحات إلى الخليل نسبة غير صحيحة، وإلا فقد كنا نتوقع أن نجد لها صدىً في كلام سيبويه تلميذ الخليل ووارث الكثير من علمه وآرائه. ثم يقرّر بأن هذه المصطلحات ظهرت في القرن الرابع حين احتدم النقاش بين العلماء حول كتاب العين ونسبته إلى الخليل. ويرفض الدكتور أنيس الاستناد إلى السيرافي(ت ٣٦٨هـ) شارح كتاب سيبويه أو ابن دريد صاحب الجمهرة أو النسخ التي عثر عليها حديثاً من كتاب العين - كما يقول- وفيها نفس المصطلحات[١٢٦]. وحين يعرض ابن جني في "سرّ الصناعة "بعضاً من مصطلحات الخليل وآرائه كذوق الحروف وائتلافها وذلاقتها وإصماتها يسارع الدكتور أنيس إلى تحقيق نسبتها إلى ابن جني نفسه دون دليل[١٢٧].

٨- وذكر الخليل عدداً من صفات الحروف في تضاعيف آرائه المبثوثة في مقدمة

---

(١٢٣) الرعاية، ص ١١٣.

(١٢٤) انظر: الرعاية، ص ١١٣ - ١١٦.

(١٢٥) انظر: التهذيب، ١/٤٨ والتذكرة، ص ٢٥ - ٣٠.

(١٢٦) انظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص ١٠٧ - ١١٢.

(١٢٧) انظر: المرجع السابق، ص ١١٠.

كتاب العين دون قصد منه إلى الاستيعاب أو التقسيم والترتيب. ومعظم ماورد من الصفات جاء توضيحاً لآليات النطق حين الحديث عن المخارج أو حين شرح صفتي الذلاقة والإصمات وما يتعلق بهما من قواعد التشكيل الصوتي. لكن ذلك لايعني أن الخليل جهل الصفات التي لم ترد في المقدمة خاصة، لأنه ربما عرض لصفات عديدة في أثناء كتاب العين، كالهمس (العين، ٤/١٠- ١١)، والتفخيم (العين، ٧/١٥٧، ٨/١٦٧)، والغنة (العين، ٤/١٤٢، ٨/١٧٤). ولا شكّ في أن تتبّع كتاب العين كاملاً سيضيف أشياء جديدة إلى ماجاء في المقدمة أو يوضّحها على الأقل.

من ذلك أنه وصف الهمزة بأنها مهتوتة مضغوطة فإذا رفّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف على غير طريقة الحروف الصحاح[١٢٨]. وربما قصد من الهتّ والضغط انطباق لسان المزمار، على حين أنه قصد بالترفيه التخفيف من انطباق لسان المزمار. أما اللين فواضح من تحوّل الهمزة إلى ياء أو واو أو ألف.

ومنه أيضاً وصفه الهاء بمجموعة من الصفات كاللين والهشاشة والهتة أو الههة، وهي عامةً نفَسٌ لاعتياص فيها[١٢٩]. ويبدو أن المقصود من كلام الخليل ماعرفناه في الدرس الحديث من حالة الانفتاح الشديد السعة الذي يكون الجهاز الصوتي فيه خالياً من الحبس والتضييق، ومن أي اعتراض أو تحويل لمجرى الهواء. وقد ذهب بعض الدارسين إلى جعل صوت الهاء ناتجاً من هذا الانفتاح الذي يخرج الصوت من الصوامت الرخوة أو الاحتكاكية. ويدعى مايصدر على تلك الحالة بالأصوات الهاوية (Aspirées) كالهاء[١٣٠].

ووصف الخليل التاء والدال والطاء بصفات متضادة. فالطاء فيها صلابة وكزازة،

(١٢٨) انظر: العين، ١/٥٢.

(١٢٩) انظر: العين، ١/٥٤، ٥٧.

(١٣٠) انظر: مبادئ اللسانيات، ص ٨٠.

على حين أن الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها، كما أنها ارتفعت عن خفوت التاء فحسنت. ويبدو أن المقصود بالصلابة والكزازة الإطباق الذي يميّز الطاء من أختيها الدال والتاء. أما ليونة الدال وارتفاعها عن خفوت التاء فيبدو أن المقصود به ماتمتاز به الدال من جهر ووضوح سمعي لاتجاريها التاء فيهما، لأنها مهموسة وأقل وضوحاً في السمع من الدال، لذلك وصفت بالخفوت[١٣١].

كذلك وصف الخليل السين بالتّوسّط الذي رآه في الدال. فصارت حال السين بين مخرج الصاد والزاي كذلك[١٣٢]. فالسين مهموسة وكذلك الصاد، لكنّ الصاد تمتاز منها بالإطباق. كما تمتاز الزاي من الصاد والسين بأنها مجهورة وهما مهموستان.

ووصفت الراء واللام والنون عامة بالانحراف، لأن اللسان ينحرف حين النطق بها فيغدو النطق جانبياً (Latérale)[١٣٣]. ومن الملاحظ أنّ سيبويه وابن جني اقتصرا على وصف اللام بالانحراف، على حين أن مصنفي التجويد كابن الجزري اعتدوا حرفي اللام والراء منحرفين على الصحيح، ونسب الاقتصار على اللام إلى البصريين[١٣٤].

ووصف حرفي العين والقاف بصفات الطلاقة وضخامة الجرس والنصاعة، لذلك إذا دخلتا في بناء يخلو من حروف الذلاقة حسّنتاه[١٣٥]. وتمتاز العين والقاف بالجهر والوضوح السمعي معاً. كما تمتاز القاف بالاستعلاء والشدة والقلقلة، على حين أنّ العين تمتاز بالتوسّط بين الشديدة والرخوة فتماثل مايطلق عليها الآن الأصوات المائعة (Liquides) التي تضمّ الواو والياء واللام والراء والميم والنون. وقد لوحظ أنّ هذه

(١٣١) انظر: المرجع السابق، ص ١١٠.

(١٣٢) انظر: العين، ١/٥٣ - ٥٤.

(١٣٣) انظر: العين، ١/٥٢ وقارن بمبادئ اللسانيات، ص ٨٧.

(١٣٤) انظر: الكتاب، ٤/٤٣٥ وسرّ الصناعة، ١/٦٣، والنشر، ١/٢٠٤.

(١٣٥) انظر: العين، ١/٥٣ - ٥٤.

الأصوات تكثر لتشكيل المقطع لاتساع مجرى الهواء معها وجهرها ووضوحها السمعي وكثرة دورانها في الكلام(١٣٦).

وهناك صفات أخرى وردت عرضاً حين الحديث عن المخارج، كقوله عن الميم إنها مطبقة لأنها تطبق الفم إذا نطق بها(١٣٧). وقوله عن الحاء إنها تمتاز ببحّة لولاها لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين(١٣٨). والبحة كما يبدو صويت يلحق نطق الحاء ساكنة على نحو مشابه للصويت الحادث حين القلقلة في حروف "قطب جد".

وجاء في "التهذيب" نقلاً عن الليث صفات أخرى لبعض الحروف التي مرّت بنا آنفاً. فالعين إضافة إلى ماجاء في المقدمة من وصفها بالطلاقة وضخامة الجرس والنصاعة وصفت بأنها "أنصع الحروف جرساً وألذّها سمعاً". والقاف وصفت كذلك بما مرّ من صفات في المقدمة ثم وصفت في "التهذيب" بالرواية نفسها بأنها "أصحّها جرساً"(١٣٩).

وحين عرض "التهذيب" لرواية أخرى ليست للّيث ورد تفصيل للحروف الصتم - وهي خلاف الذّلق- على نحو جعلها قسمين: مستعلية ومختفضة. فالمستعلية هي حروف شواخص وعدتها خمس: "ط، ض، ص، ظ، ق". والمختفضة -من الصتم- تسعة أحرف هي: "ك، ج، ش، ز، س، د، ت، ذ، ث"(١٤٠).

وورد في الرواية الأخيرة أيضاً وصف للكلمات الخالية من حروف الذلاقة حين تخالطها السين فتحسن لِما في السين من توسط: "وقد جاءت كلمات مسيّنة شواذ،

(١٣٦) انظر: مبادئ اللسانيات، ص ٧٨ - ٧٩. وتجدر الإشارة إلى أنّ هناك اختلافاً بين القدامى والمحدثين حول جهر القاف، إذ يجعلها المحدثون مهموسة. انظر: مبادئ اللسانيات، ص ٨٢.

(١٣٧) انظر: العين، ١/٥٨.

(١٣٨) انظر: العين، ١/٥٧.

(١٣٩) انظر: التهذيب، ١/٤٥.

(١٤٠) التهذيب، ١/٥١.

نحو: عسجد، وعسطوس"(١٤١). ثم أوردت الراوية ذكر "المسيّنة" مضيفة صفات جديدة للسين: "فلست واجداً في جميع كلام العرب خماسياً بناؤه بالحروف المصمتة خاصة، ولا كلاماً رباعياً كذلك غير المسيّنة التي ذكرتها. واستخفت العرب ذلك لخفة السين وهشاشتها. ولذلك استخفت السين في استفعل"(١٤٢). وهكذا حملت هذه الإضافة التي فسّرت توسّط السين صفاتٍ أخرى مع اشتقاق كلمة "المسيّنة" صفة للكلمات التي تدخلها السين من الخماسي والرباعي الذي يخلو من حروف الذلاقة.

أما كتاب "التذكرة" فقد أورد برواية الليث قسمة الحروف المصمتة- أي الصتم- إلى "شواخص" هي: ظ، ض، ص، ط، ق" دون ذكر صفة الاستعلاء. و "منخفضة" وهي التي جاءت في التهذيب عن غير طريق الليث. لكن المصطلح هنا: "منخفضة" وليس "مختفضة" كما مرّ بنا آنفاً(١٤٣). كذلك جاء في الرواية نفسها مايماثل رواية التهذيب حول صفات السين.. "فلست واجداً في جميع كلام العرب كلمة خماسية بناؤها من الحروف المصمتة خاصة، ولا رباعية كذلك، غير ضرب واحد يقال له الرباعي المعدّى، وهو قليل، وما جاء فالسين لازمة له نحو: عسجد، وعسطوس، وإنما استخفت العرب ذلك لخفة السين وهشاشتها، ولذلك استخفت في: سيفعل واستفعل"(١٤٤).

وجاء في "التذكرة" برواية النضر: "ولولا همّة في الهاء لأشبهت الحاء، لقرب مخرج الحاء من الهاء"(١٤٥). وربّما كانت همّة تحريفاً لهتة أو ههة كما جاء في مقدمة

(١٤١) التهذيب، ١/٥٠.

(١٤٢) التهذيب، ١/٥١.

(١٤٣) انظر: التذكرة، ص ٢٦، وقارن بالتهذيب، ١/٥١. وربما كان في الأمر تحريف.

(١٤٤) التذكرة، ص ٢٦.

(١٤٥) التذكرة، ص ٢٧.

العين[146] . وجاء في رواية الأخفش الأوسط وصف للحروف الجوف يجعلها حروف مدّ ولين للينها وامتداد الصوت فيها[147] . ويبدو أنّ المقصود بهذا الوصف تلك الحالة التي وردت في "التهذيب" عن غير طريق الليث، على هذا النحو "فهذه حال الألف اللينة، والواو الساكنة بعد الضمة، والياء الساكنة بعد الكسرة، والألف اللينة بعد الفتحة. وهؤلاء في مجرى واحد"[148] . ثم جاء بعد ذلك وصف للواو والياء وهما متحركتان أو ساكنتان بعد الفتحة، على غير طريقة العلل أو الجوف. وأورد الأخفش فيما رواه عن الخليل صفة للنون هي الغنّة حال الإخفاء والإدغام الناقص. "فالنون المتحركة تكون "مشربة غنة". والنون المخفية تخرج من الخياشيم"[149] .

٩- وننهي هذا القسم الخاص بمعطيات علم الأصوات النطقي وهو جزء ممّا ندعوه "بالفونيتيك" بالوقوف عند جهاز النطق عند الخليل. وقد عمدنا إلى تأخيره، لأن تحديده لم يكن مقصوداً لذاته، فربّما عدّت معرفته من باب المعلومات اللغوية العامة، لأنها مستمدّة من معطيات خلق الإنسان عند العرب، وليس فيها شيء مقترض من العلوم الجديدة أو علوم العجم. فأعضاء جهاز النطق ترد عادة عند اللغويين والنحويين في درج الحديث عن المخارج ثم الصفات. وإذا عرض في أثناء ذلك مصطلح غريب الدلالة أو جديدها شُرح في موضعه بأوجز عبارة.

وقد تبيّن لنا بعد درس المقدمة أنّ الخليل عرض لأكثر أعضاء النطق ممّا له إسهام في النطق وكان يقع تحت الملاحظة أو الاختبار. وجاء في هذا الصدد ذكر للجوف والحلق والفم وما فيه.

(١٤٦) انظر: العين، ١/٥٧.

(١٤٧) انظر: التذكرة، ص ٢٩.

(١٤٨) التهذيب، ١/٥١.

(١٤٩) التذكرة، ص ٣٠ – ٣١.

ففي المقدمة برواية الليث ذكر الحلق وأقصى الحلق ومدارج الحلق[150] . وذكر الفم وغار الفم وأقصى الفم وشجر الفم ومفرج الفم[151] . وذكر اللسان وأسلة اللسان وذلق اللسان وظهر اللسان وعكدة اللسان ومدارج اللسان ومستدقّ طرف اللسان وتحديد طرفي ذلق اللسان[152] . وذكر الغار الأعلى والطبقتين واللهاة ومدرج اللهاة ونطع الغار الأعلى واللثة وباطن الثنايا[153] . وذكر الشفة والشفتين[154] . وذكر الجوف والهواء[155] . وذكر الأحياز والمدارج وموضع الحرف ومدرجته ومخرجه[156] .

وجاء في روايات "التهذيب" "زيادة على ماتقدّم: أدخلها في الحلق، وطرف أسلة اللسان، والطبقان بدلاً من الطبقتين، وذولق اللسان"[157] . كما جاء أيضاً: "مقدّم الغار الأعلى، وأصل اللسان وطرف اللسان"[158] .

أما في روايات "التذكرة" ماخلا الذي تقدّم فقد ذكر: "أدنى الحلق، وموضع الذلاقة"[159] . وذكر: "الحنك، ووسط الحنك، ووسط اللسان، وحافة اللسان، وحافاته، ومنتهى طرف اللسان، والأضراس، وأصول الثنايا، وأطراف الثنايا العلا، والثنايا العلا، والشفة السفلى، وفويق الثنايا، ومجرى الحرف"[160] . وذكر أيضاً: "متدرّج، المجاري، شباة اللسان، سراته، باطن الشفة السفلى، وفوق اللسان، وفويق

(١٥٠) انظر: العين، ١/٤٧، ٤٨، ٥٢، ٥٧، ٥٨.

(١٥١) انظر: العين، ١/٤٧، ٥٠، ٥٨، و ١/٥١.

(١٥٢) انظر: العين، ١/٤٩، ٥٢، ٦٠، و ١/٥١، ٥٧، ٥٨.

(١٥٣) انظر: العين، ١/٥٢، ٥٧، ٥٨.

(١٥٤) انظر: العين، ١/٥١، ٥٨.

(١٥٥) انظر: العين، ١/٥٧، ٥٨.

(١٥٦) انظر: العين، ١/٥٧، ٥٨، و ١/٤٧، ٤٨، ٥٢، ٥٤.

(١٥٧) انظر: التهذيب من رواية الليث، ١/٤٤، ٤٨.

(١٥٨) انظر: التهذيب من رواية أخرى، ١/٥١.

(١٥٩) انظر: التذكرة من رواية الليث، ص ٢٥، ٢٦.

(١٦٠) انظر: التذكرة من رواية النضر، ص ٢٧، ٢٨.

الحنك، حافة المنباس، الشدق الأيمن والأيسر، وحروف (أطراف) اللسان، ومنتهى اللسان، الحنك الأعلى، الشبك المثنّى، وأصول الرباعيات، وعكد اللسان، والخياشيم"(١٦١).

وإذا نظر المرء إلى هذه الروايات المنسوبة إلى الخليل مجتمعة هاله ماكان يتصرّف فيه من معلومات واسعة ودقيقة تزيد في تفصيلاتها على مايعتمده الدرس الحديث من تحديد لأعضاء النطق مع تقدّم الوسائل وتتابع الخبرات. أما لدى القدامى فيصعب تصوّر هذا الجمّ الغفير من أعضاء النطق لدى مؤلف واحد. وقد اقتصر سيبويه ومن تلاه ممّن حذا حذوه على الأهمّ والأشيع من هذه الأعضاء دون الدخول في مثل مامرّ بنا من تفصيلات دقيقة. وليس عند سيبويه إضافات خلا ذكره الضاحك والناب، وأوسط الحلق، وأقصى اللسان، والأنف(١٦٢). وليس هناك دليل يشير إلى أنّ سيبويه هو صاحب هذه المصطلحات وإن أوردها في كتابه كما تقدّم، إذ تبقى مسألة استمداده درسه الصوتي من الخليل قائمة(١٦٣). أما المصطلحات نفسها فليست على قدر كبير من الأهمية عدا "أوسط الحلق" لدلالته على مخرج حلقي مستقل عن أقصى الحلق وأدناه. وفي المزهر عن ابن كيسان نقلاً عمن سمع الخليل أنه ذكر الحيّز الثاني لحروف الحلق وفيه العين والحاء، وهو نفسه المخرج المسمّى بوسط الحلق أو أوسط الحلق(١٦٤).

وهناك فضل إيضاح في ذكر "الضاحك والناب"، على حين أنّ "أقصى اللسان" عبّر عنه بأصل اللسان وعكد اللسان. أما "الأنف" فقد ورد لدى سيبويه في أثناء الحديث

(١٦١) انظر: التذكرة من رواية الأخفش، ص ٢٩، ٣٠.

(١٦٢) انظر: الكتاب، ٤/٤٣٣ – ٤٣٦.

(١٦٣) انظر: المزهر، ١/٨٥ وقارن بتمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص ٥١.

(١٦٤) انظر: المزهر، ١/٩٠.

عن الغنة التي يغني ذكر "الخياشيم" معها عن ذكر الأنف. وقد تقدّم ذكر "الخياشيم" في الروايات السابقة عن الخليل.

وننتهي من هذا الرصد كلّه إلى أن الخليل ومن تقيّله من تلاميذه ولاحقيه عرفوا أعضاء الجهاز النطقي استمداداً من معارفهم اللغوية فيما دعي بـ "خلق الإنسان"، وهو جانب دلالي غني بالمعارف الطبية العربية أصلاً قبل أن تظهر ثمرات الترجمة وما أتت به من علوم أجنبية. كما أدّت الملاحظة والتجربة إلى وصف كافٍ لآليات النطق والتحقّق من مخرج الحرف وبيان صفاته. وليس في معرفة هؤلاء العلماء لأعضاء النطق نقص إلا الحنجرة ولا سيّما الوترين الصوتيين(١٦٥). ويبدو أن عدم ذكر الحنجرة في أثناء حديث الخليل وسيبويه ومَنْ تلاهما عن المخارج كان يؤدّى بقولهم "أقصى الحلق" الذي نسبوا إليه صوتي الهمزة والهاء، وهما صوتان حنجريان كما أثبتت الدراسات الحديثة. لكن ابن سينا (ت٤٢٨هـ) ذكر الحنجرة ووصف أجزاءها وصفاً تشريحياً مسهباً، ونسب صوتي الهمزة والهاء إليها، غير أنه لم يشر إلى الوترين الصوتيين(١٦٦). وخلص الدكتور غانم قدوري الحمد إلى أنّ بعض علماء التجويد عرف الحنجرة، وإن لم تصل تلك المعرفة إلى حدّ إدراك دور الوترين الصوتيين في إنتاج الأصوات(١٦٧).

فالنقص المؤثّر في الدرس يبدو واضحاً في عدم معرفة القدامى عامة للوترين الصوتيين مما سبّب غموضاً في تعريفهم للمجهور والمهموس من الأصوات(١٦٨). إذ لم

(١٦٥) سبب ذلك هو جعلهم الحنجرة جزءاً من الحلق لااستقلال له، مع أن كلمة (حنجرة) معروفة لديهم، وقد وردت مرتين في القرآن الكريم بصيغة الجمع (الأحزاب، آية ١٠) و (غافر، آية ١٨). انظر: خلق الإنسان لثابت بن أبي ثابت، ص ١٩٠ – ١٩٢. وانظر: الخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٩٤.

(١٦٦) انظر: ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، ص ١٠٨ – ١١٢، ١١٤.

(١٦٧) انظر: الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص ٥٧٧.

(١٦٨) يستغرب ألا يكون لدى ابن سينا ذكر للوترين الصوتيين أو بيان لأثرهما على سبيل التقريب مع معرفته الواسعة بالتشريح والطب.

يكن متيسّراً بحال من الأحوال وقوف أولئك اللغويين على دقائق التشريح وتعمقهم في فهم آليات النطق. لكن هؤلاء الذين جهلوا الوترين الصوتيين ودورهما في التصويت عامة والجهر خاصة تحسّسوا شيئاً من الترديد أو الصوت أو الصدى المنبعث من الصدر أو الحنجرة، وهو إدراك أوّلي للأثر الذي تولّده حركة الوترين الصوتيين[١٦٩].

(١٦٩) انظر أمثلة على ذلك : سيبويه، الكتاب، ٥٤٨/٣، وابن جني، سرّ الصناعة، ٨/١، وابن البناء، كتاب بيان العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء وإيضاح الأدوات التي بني عليها الإقراء، ص ٣٢، والخوارزمي، مفاتيح العلوم، ص ٩٤، والاستراباذي، شرح الشافية، ٢٥٨/٣- ٢٥٩، وهنري فليش، "التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سرّ صناعة الإعراب"، ص ٥٨، وغانم قدوري الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، ص ٥٧٧- ٥٧٨.

مسائل صوتية تشكيلية

رأينا فيما تقدّم أنّ غاية المعلومات الصوتية التي وضعها الخليل بين يدي تلميذه الليث هي الوصول إلى طرق التشكيل الصوتي. فالأصوات اللغوية المنعزلة لاتحلّل على انفراد إلا بنوع من التجريد. فلا يتكلّم إلا بمركبات من الأصوات اللغوية[١٧٠]. ولأجل ذلك ظهر في الدرس اللساني الحديث تفريق بين نوعين من الدرس الصوتي، أحدهما خاص بالجوانب النطقية والفيزيائية والسمعية، وهو مايطلق عليه مصطلح "علم الأصوات" أو الفونيتيك. والآخر خاص بأصوات لغة معيّنة من اللغات من جهة نظام تركيبها وائتلافها وما يتفرع من ذلك، ويطلق عليه مصطلح "علم الأصوات التشكيلي" أو الفونولوجيا.

وقد أوضح الخليل قصده الرئيس من عمله في "كتاب العين" حين ذكر أنّ غاية تأليف الحروف هي معرفة كلام العرب وألفاظهم، فلا يخرج عنها شيء من ذلك[١٧١]. ولذلك حدّد الحروف لأنها أساس مايتركب من الكلام. ثم ذكر أصناف كلام العرب كالثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي. وبيّن أقسام الكلم كالحرف نحو: قد ولم وهل،

(١٧٠) انظر: فندريس، اللغة، ترجمة الدواخلي والقصاص، ص ٨٣.

(١٧١) انظر: العين، ٤٧/١، ٥٤، ٦٠.

والفعل الثلاثي: كضرب وخرج، والاسم كعمر وجمل. وذكر أيضاً مسائل تركيبية كزيادة ألف الوصل في قولهم: اقشعرّ وما أشبهه، والتشديد الدالّ على حرفين. وأوضح الخليل أنّ الاسم لايكون أقلّ من ثلاثة أحرف، ثم راح يناقش بعض الكلمات التي تبدو ثنائية كاليد والفم والدم مبيّناً أن حرفها الثالث ذهب لعلة كالحذف لالتقاء الساكنين(١٧٢) . ويبدو أنّ ماعبّر عنه الخليل وليد استقرار أصول الكلم في العربية الفصحى على الأصول الثلاثية. ولذلك لم يتصوّر الخليل الاسم والفعل أقلّ من ثلاثة أحرف. وعكس ذلك أنّ الثنائي كقد وهل ولو إذا أردت جعله اسماً أدخلت عليه التشديد حتى يصير ثلاثياً نحو قدّ وهلّ ولوّ(١٧٣) .

ثمّ شرع يفصّل مايحسن في الأبنية من الذلاقة والطلاقة. فحروف الذلاقة ستة هي " ر، ل، ن، ف، ب، م"، وهي من حيث النطق قسمان، أحدهما يكون بطرف أسلة اللسان، وذلك للثلاثة الأولى الذُّلق أو الذليقة وهي "ر، ل، ن"، والآخر يكون من بين الشفتين خاصة، وذلك للثلاثة الثانية أي الشفوية، وهي "ف، ب، م". وكلا القسمين يتصف بالذلاقة وهي صفة تتولّد من انطلاق اللسان بالراء واللام والنون من طرف أسلته، كذلك تتولد من خفّة عمل الشفتين. "فلما ذلقت الحروف الستة ومذل بهنّ اللسان وسهلت عليه في المنطق كثرت في أبنية الكلام، فليس شيء من بناء الخماسي التامّ يعرى منها أو من بعضها"(١٧٤) . وجاء في رواية أخرى لليث عن الخليل -كما أثبت صاحب "التذكرة"- أنّ حروف الذلاقة "أخفّ الحروف في المنطق، وأكثرها في الكلام، وأحسنها في البناء، ولا يحسن بناء الرباعي المنبسط ولا الخماسي التامّ إلا بمخالطة بعضها"(١٧٥) .

(١٧٢) انظر: العين، ١/٤٩ – ٥١ .

(١٧٣) انظر: العين، ١/٥٠.

(١٧٤) العين، ١/٥٢، والتهذيب، ١/٤٤، والتذكرة، ص ٢٦.

(١٧٥) التذكرة، ص ٢٦.

ووصف ابن جني الذلاقة، وبيّن أثر حروفها في بناء الرباعي والخماسي، وذكر حرفي الطلاقة وهما العين والقاف، وحرفي الاعتدال والتوسط وهما الدال والسين. كما ذكر الحروف "المصمتة" وهي سائر الحروف عدا ماتقدّم. وواضح من كلام ابن جني وأمثلته أنه يستقي من الخليل ومن كتاب العين أساساً، لكنه لم يشر إلى ذلك ألبتة، فظهر وكأنه صاحب الفكرة. وهذا دأبه في كثير ممّا قبسه من الخليل مع اتّهامه كتاب العين بالفساد والتخليط(١٧٦) . لكنّ الأزهري سبق أن أثبت نسبة الحديث عن الذلاقة والطلاقة والإصمات إلى الخليل عن طريق روايتين، إحداهما لليث والأخرى لغيره من دون تعيين(١٧٧) . وربما كانت الرواية الأخرى عن طريق الأخفش الأوسط الذي رأينا له نقلاً عن الخليل كما جاء في "التذكرة". وقد نقل ابن دريد في الجمهرة أن الأشنانداني سمع الأخفش يفسّر معنى المذلقة والمصمتة . وذكر مكي بن أبي طالب القيسي تفسير الأخفش للحروف المصمتة والمذلقة، كما ذكر السيوطي شبيهاً بذلك منسوباً إلى الأخفش أيضاً(١٧٨) .

والغريب حقاً هو ماقرّره الدكتور إبراهيم أنيس مطمئناً -على حدّ قوله- من أنّ مصطلحي "الذلاقة" و "الإصمات" هما من وضع ابن جني. "ويبدو أن ابن جني حين لاحظ كثرة شيوع هذه الأصوات في اللغة العربية بحيث لاتكاد تخلو منها كلمة رباعية أو خماسية في أصولها وضع لها هذه التسمية.."(١٧٩) . ثم راح الدكتور أنيس يتهم ابن جني بالتكلّف والتعسّف، لأنه حين وجد بضع كلمات تخالف قاعدته (كذا) حاول جاهداً تبريرها مثل كلمة "عسجد". وينتهي الدكتور أنيس إلى "أنّ "الذلاقة" لاتعني

(١٧٦) انظر: سرّ الصناعة، ١/٦٤، ١/٤٥.

(١٧٧) انظر: التهذيب، ١/٤٤، ١/٥٠ – ٥١ ونقل ابن منظور في مادة (ذلق) بعض ماجاء في التهذيب (وهو للخليل كما تبيّن) وفي المحكم لابن سيده مع كلام ابن جني في سرّ الصناعة. انظر: اللسان ١٠/١١٠ (ذلق).

(١٧٨) انظر: الجمهرة، ١/٤٥، والرعاية، ص ١١٠، وهمع الهوامع، ٢/٢٣٠.

(١٧٩) أنيس، الأصوات اللغوية، ص ١١٠.

أكثر من معناها الشائع المألوف، وهو القدرة على الانطلاق في الكلام بالعربية دون تعثر أو تلعثم..."(١٨٠). وسيظهر لاحقاً أنّ كلّ ماذهب إليه الدكتور أنيس خطأ محض. فحديث الذلاقة والإصمات وما يتصل بهما من أسس تشكيل الأصوات ليس لابن جني الذي لاينسب إليه تكلّف أيضاً. أما التهوين من شأن الذلاقة في تركيب الكلام فهدم ظالم لفكرة من أعظم ماأنتجه الدرس اللغوي العربي ممّا نباهي به الأمم.

وينتقل الخليل بعد أن أوضح صفة الذلاقة وحروفها وعدم خلوّ الرباعي أو الخماسي من حرف واحد أو اثنين من هذه الحروف، إلى تنبيه تلميذه الليث لاستثمار هذه الفكرة في تمييز الأصيل من الدخيل. "فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من حروف الذلق أو الشفوية، ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب، لأنك لست واجداً من يسمع من كلام العرب كلمة واحدة رباعيّة أو خماسية إلا وفيها من حروف الذلق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر"(١٨١). وهكذا يظهر مدى تمكن الخليل من فهم قوانين التشكيل الصوتي دون اعتماد على أي أجهزة لم يكن لها في عصره وجود يذكر. ولا عجب من ذلك مع أن العصبة من أولى العزم تنوء بتجشمه، لأنّ الخليل -كما قال القدامى- رجل لم ير مثله.

لكن تلميذه يستفسر -وحقّه أن يستفسر بعد أن ألقى عليه الخليل قولاً ثقيلاً- عن خلوّ الكلمة المولدة المبتدعة من حروف الذلاقة. فذكر الخليل أمثلة توضح قانونه، نحو "الكشعطج"، وهي كلمة مولّدة أو مصنوعة أريد بها اللبس والتعنّت(١٨٢).

ثم يخلص الخليل إلى أبعد مما سبق حين يذكر أنّ البناء الرباعي لايعرى من الحروف

(١٨٠) أنيس، المصدر السابق، ص ١١٠.

(١٨١) العين، ٥٢/١، وقارن بالتهذيب، ٤٤/١، والجمهرة، ٤٩/١. ويدلّ النص على معرفة العربي الصحيح من غيره كالدخيل أو المصنوع.

(١٨٢) انظر: العين، ٥٢/١ - ٥٣، والتهذيب، ٤٤/١.

الذلق أو بعضها كما تقدم ماخلا بضع كلمات جئن شواذّ لايتجاوزن عشر كلمات(١٨٣). ويبدو أنّ الخليل أحاط خبراً بكلام العرب كلّه مسموعه ومقيسه، وإلا لم يكن يستطيع إطلاق هذا الحكم القاطع؟!

لكنّ الأمر لايتوقف عند هذه الكلمات التي وصفت بالشواذّ، كالعسجد والقسطوس والقداحس والدعشوقة والهدعة والزهزقة ونحوها، إنما يتعدى ذكرها وعددها إلى تحليلها وبيان ما الذي سوّغها في النطق مع خلوّها من حروف الذلاقة.

وينتقل الخليل هنا إلى فكرة جديدة هي أنّ القاف والعين يتصفان بالطلاقة وضخامة الجرس والنصاعة، لذلك لاتدخلان في بناء إلا حسّنتاه. فهذه الكلمات الشاذة لاتحسن دون أن يكون فيها القاف والعين. أما إذا كان البناء الخالي من حروف الذلاقة اسماً فتلزمه السين والدال مع لزوم القاف والعين. لأن السين والدال تتصفان بالتوسط والاعتدال. وربما كانت السين وحدها دون الدال كافية لتحسين البناء نحو "عسطوس"، وذلك لخفة السين وهشاشتها كما جاء في رواية عن غير الليث. وتدعى الكلمة المعتمدة على السين في تسويغها بالمسيّنة(١٨٤).

وهكذا يتضح أنّ الاسم الرباعي إذا عرّي من الحروف الذلق، فإنه لايعرى من أحد حرفي الطلاقة أو كليهما، ومن السين أو الدال أو أحدهما، ولا يضرّ ماخالف من سائر الحروف الصتم. وغاية ذلك -كما ذكرنا مراراً- معرفة ماهو تأليف العرب وما ليس من تأليفهم، نحو قعثج، إذ لاينسب إلى عربية، لأنه مصنوع وإن جاء عن ثقة(١٨٥).

ويستثني الخليل ماجاء حكاية مؤلفة أو مضاعفة من معظم مااشترطه قبلاً. والحكاية

(١٨٣) انظر: العين، ٥٣/١.

(١٨٤) انظر: العين، ١/ ٥٣ - ٥٤، والتهذيب، ٥٠/١ - ٥١، وقارن بالتذكرة، ص ٢٦، وتجدر الإشارة إلى وقوع الخطأ في نقل كلمة "مسيّنة"، إذ صارت في التذكرة "مبنية". انظر: التهذيب، ٥٠/١ - ٥١.

(١٨٥) انظر: العين، ٥٤/١، والتهذيب، ٤٥/١.

هي بيان المحكي صوتاً مناظراً لأصوات الطبيعة. وهذا مما ابتدعه الخليل وسار عليه سيبويه ووسّعه ابن جني. فالخليل تنبه إلى هذا النوع من الرباعي الذي يقصد به محاكاة صوت أو حركة نحو صلصل وصرصر ودهداق وزهزاق وغير ذلك ممّا سنعرض له لاحقاً. أما سيبويه فقد ذكر أمثلة من هذا النوع عندما تحدّث عن دلالة المصادر، كالغليان والغثيان والخطران واللمعان. ففي هذه المصادر زعزعة وتحرّك واضطراب. وكذلك ماجاء من مصادر كالهدير والضجيج والصهيل والنهيق. ومثله مصادر أخرى كالصراخ والنباح. وسيبويه في هذا يحذو حذو الخليل، فقد ذكر أنّ ماأورده هو مأخذ الخليل (١٨٦) . أما ابن جني فقد عقد باباً في "الخصائص" دعاه بإمساس الألفاظ أشباه المعاني. وقد ذكر بداية أنّ الخليل وسيبويه نبّها على هذا الموضع الشريف اللطيف، وأن الجماعة تلقته بالقبول له والاعتراف بصحته. ونقل ابن جني عن الخليل مثالاً أثبته الليث في مقدمة كتاب العين وهو "صرّ" و "صرصر". كما نقل من سيبويه بعض ماذكره من حكاية المصادر. ووجد ابن جني -كما يقول- من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ماحدّاه ومنهاج مامثلاه(١٨٧) .

وينبغي التنبه إلى أنّ هذه المسألة اتخذت شكلاً جديداً لدى ابن جني الذي كان معنياً بإثبات صلة التناسب بين اللفظ والمعنى ممّا يستند إلى الحكاية ولا يقف عندها. أما صنيع الخليل فهو مختص بالرباعي المبني على الحكاية من حيث تأليف الحروف من الذلق والطلق والصتم. ولأن في الحكاية تكراراً مستحسناً جاز فيها كل تأليف لايجوز في غيرها.

ويفرّق الخليل بين نوعين من الحكاية؛ الأول: الحكاية المؤلفة نحو دهداق وزهزاق وأشباه ذلك. والهاء هنا لازمة له فصلاً بين حرفيه المتشابهين مع لزوم العين والقاف أو

(١٨٦) انظر: الكتاب، ١٤/٤ - ١٥.

(١٨٧) انظر: الخصائص، ١٥٢/٢ - ١٥٣.

أحدهما. وسبب ذلك هو لين الهاء وهشاشتها. أما إذا كانت الحكاية المؤلفة متضمنة أحد حروف الذلاقة فلن تضر أكانت فيها الهاء أم لا، نحو غطمطة، ولولا مافي أمثلة الحكاية المؤلفة من تشابه الحرفين (الدالان في دهداق، والزايان في زهزاق، والطاءان في غطمطة) ماحسنت الحكاية بهما(١٨٨) . والحكاية المؤلفة على هذا النحو قليلة. ويرى الخليل أن بعض المستكره ممّا يخلو من حروف الذلاقة والطلاقة كالهعخع يقبل لو أنه جاء على الحكاية وإن كانت الخاء بعد العين- وهو تتابع مرفوض- لأن الحكاية تحتمل من بناء التأليف مالا يحتمل غيرها(١٨٩) .

أما النوع الثاني من الحكاية فهو الحكاية المضاعفة التي تتصف بأن حرفي عجز الكلمة مثل حرفي صدرها. ويرى الخليل أن هذا البناء بناء يستحسنه العرب، فيجوز فيه من تأليف الحروف جميع ماجاء من الصحيح والمعتل ومن الذلق والطلق والصُّتم(١٩٠) . وأساس بناء هذا النوع هو الثنائي، لذلك ينسب إليه. ومن هذا النحو: قولهم: "صلصل" اللجام، لأنه يحكي صلصلة اللجام، وأصله "صلْ" ويجوز في هذا النوع ماجاز في النوع السابق من تأليف الحروف كتتابع الضاد والكاف، وهو تتابع مرفوض في غير الحكاية. مثال ذلك أنّ "ضك" تأليف لايحسن إلا إذا فصل بين حرفيه بفاصل. علىٰ حين أنه جائز في الحكاية المضاعفة من غير فصل، نحو "الضكضاكة". فالمضاعف جائز فيه كل غث وسمين، من الفصول والأعجاز والصدور وغير ذلك(١٩١) .

وذهب الخليل استكمالاً لموضوع الحكاية إلى أنّ العرب تشتق المضاعف من الثلاثي المثقل بحرفي التضعيف، ومن الثلاثي المعتل. فالحكاية كما يتضح ضرب من ضروب

(١٨٨) انظر: العين، ١/٥٤.

(١٨٩) انظر: العين، ١/٥٥.

(١٩٠) انظر: العين، ١/٥٥.

(١٩١) انظر: العين، ١/٥٦.

الاشتقاق يلجأ إليه للدلالة على محاكاة صوتية فيها تكرار وترجيع. فليست الحكاية إذن نقلاً ساذجاً لأصوات الأشياء أو محاكاة طبيعية لها، إنما هي شيء من أبنية اللغة له خصائص صوتية وصرفية ودلالية. ويرى الخليل أنّ الثنائي نحو "صَلّ" لايتقدّر للتصريف حتى يثقّل فيصير "صلّ" أو يضاعف فيصير "صلصل"، وهما معاً صوت اللجام، إلا أنّ بينهما فرقاً، فصلّ يوحي بالمدّ، على حين أن صلصل يوحي بالترجيع. وربّما اختلفت دلالة المثقّل عن المضاعف، وذلك نحو قولهم "صرّ" الجندب، و"صرصر" الأخطب، لأن في الأول مداً وفي الثاني ترجيعاً. وهذا النوع كثير[١٩٢]. وكما اشتقّ العرب المضاعف نحو "صلصل" من "صلّ" الثلاثي المضعّف اشتقوا من الثلاثي المعتل فقالوا: "تنخنخ" من "أناخ"[١٩٣].

وليس في رواية الليث التي حملت كتاب العين شرح للحروف الصتم من حيث سبب التسمية أي "الصتم"، ومن حيث العدد معيّناً دون التباس. كذلك تخلو رواية الليث التي أثبتها الأزهري في "التهذيب" من أيّ إضافة إلى ماتقدّم. لكن رواية أخرى لم يسمّ صاحبها في "التهذيب" والغالب أنه الأخفش الأوسط تذكر مصطلحي "المذلقة" و"المصمتة". وجاء في هذه الرواية: "وأما المصمتة – وهي الصتم أيضاً – فإنها تسعة عشر حرفاً صحيحاً... وإنما سمّين مصمتة لأنها أصمتت فلم تدخل في الأبنية كلّها.."[١٩٤]. وأورد أبو حيان في "التذكرة" نقلاً عن جنادة الهروي مايماثل هذا الكلام إلى حدّ بعيد مروياً عن الليث[١٩٥]. ويشير هذا التماثل إلى أنّ مصدر هذه المعلومات هو الخليل نفسه. وفي "سرّ الصناعة" لابن جني أنّ حروف الذلاقة ستة أما

(١٩٢) انظر: العين، ٥٦/١.

(١٩٣) انظر: العين، ٥٧/١.

(١٩٤) التهذيب، ٥١/١.

(١٩٥) انظر: التذكرة، ص ٢٥ – ٢٦.

الحروف المصمتة فهي باقي الحروف. وسميت الحروف غير هذه الستة "مصمتة" لأنه صمت عنها أن تبنى منها كلمة رباعية أو خماسية معرّاة من حروف الذلاقة[١٩٦]. وينقل مكي بن أبي طالب عن ابن دريد عن الأخفش تقسيم الحروف إلى مذلقة ومصمتة، ويفسّر المصمتة بأنها الممنوعة من أن تنفرد في كلمة طويلة من قولهم: "صمت" إذا منع نفسه من الكلام. وهي حروف لاتختص ببناء أكثر من ثلاثة أحرف حتى يكون معها غيرها من الحروف المذلقة، وذلك لاعتياصها وصعوبتها على اللسان. ويذكر مكي أنها اثنان وعشرون حرفاً، ثلاثة معتلات وهن الواو والياء والهمزة، وتسعة عشر من الصحاح، والألف خارجة عن المذلقة والمصمتة، لأنها هواء لامستقر لها في المخرج[١٩٧]. وهكذا يتضح أنّ الحروف الصتم والمصمتة تضمّ حرفي الطلاقة وحرفي التوسط، فهي كلّ ماعدا الستة المذلقة.

ولنا وقفة نتبين فيها أهمّ خصائص هذه الأصوات من حيث النطق، والدوران، والتشكل. فمن حيث النطق وصف المحدثون اللام والنون والميم والراء من بين هذه الأصوات بالمائعة (Liquides)، لاتساع مجرى الهواء معها بما يقرب من اتساعه عند نطق الصوائت. وتشبه هذه الأصوات الصوائت في أنها أصوات عالية من حيث الوضوح السمعي (Sonority)، ولذلك ترد (قمة) في المقطع على نحو مايرد الصائت عادة. وتتصف أيضاً بالتوسط بين الشديدة والرخوة، أو بين الصوامت والصوائت[١٩٨]. كما تتصف بالجهر كالأصوات الصائتة أيضاً.

(١٩٦) انظر: سرّ صناعة الإعراب، ٦٥/١، ونقله ابن عصفور في الممتع، ٦٧٦/٢– ٦٧٧.

(١٩٧) انظر: الرعاية، ص ١١٠ – ١١١، وقارن بالجمهرة، ٤٥/١.

(١٩٨) انظر: فندريس، اللغة، ص ٥٣ – ٥٤، وإبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص ٢٣– ٢٤ وص ١٦١، وكمال بشر، الأصوات، ص ١٣١ – ١٣٢، وتمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص ١١٣، وعبدالعزيز مطر، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، ص ٢٥٩ – ٢٦١، ومبادئ اللسانيات، ص ٧٨ – ٧٩، ١٠٩ – ١١٠.

أما من حيث دوران هذه الأصوات في الكلام فقد توصل علماء التعمية واستخراج المعمّى إلى تحديد مراتب "دوران الحروف" من حيث الكثرة والقلة في اللسان العربي. وأجمع هؤلاء على أن الحروف "المصوّتة "هي أكثر الحروف في كل لسان، أما الألف فهي أكثرها في العربية[(١٩٩)] . أما ماعدا المصوّتة أو حروف المدّ واللين فقد تبيّن أنّ اللام والميم والنون والهاء والراء والسين والباء هي أكثر الحروف دوراناً لدى ابن الدريهم (ت ٧٦٢هـ). على حين أنّ اللام والميم والهاء والنون والراء والعين والفاء هي أكثر الحروف دوراناً لدى الكندي (ت ٢٦٠هـ) وابن دنينير (ت ٦٢٧هـ) وابن عدلان (ت ٦٦٦هـ)[(٢٠٠)] . كما انتهى الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ) في كتابه "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز" إلى أنّ اللام والنون والراء هي أكثر الحروف دوراناً في القرآن الكريم[(٢٠١)] .

وأثبتت الدراسات الحاسوبية لجذور "الصحاح" و "لسان العرب" و "تاج العروس" أنّ أكثر الحروف دوراناً في العربية هو الراء واللام والنون والباء والميم، ثم العين

(١٩٩) سبق هؤلاء سيبويه الذي أشار إلى كثرة دخول الياء والواو والألف في الكلام، إذ لايعرى الكلام من الياء والواو والألف أو من بعضهن. انظر: الكتاب، ٣٣٩/٤.

(٢٠٠) انظر: رسالة الكندي في استخراج المعمى، ص ٢٣٦، ورسالة ابن عدلان في حل التراجم، ص ٢٧٤ - ٢٧٥، ورسالة ابن الدريهم في إيضاح المرموز، ص ٣٢٢، وهي ضمن كتاب علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب، دراسة وتحقيق للدكتور محمد مراياتي ومحمد حسان الطيان ويحيى مير علم، وتقديم الدكتور شاكر الفحام. وتجدر الإشارة إلى أن ابن منظور ذكر في مقدمة لسان العرب مراتب الحروف في الدوران دون عزو (اللسان، ١٤/١)، فبدا كأنه صاحب الترتيب، لكنّ التحقيق أثبت أنه ترتيب ابن عدلان (ت ٦٦٦). وقد اعتمد علي حلمي موسى في كتابه "إحصائيات جذور معجم لسان العرب باستخدام الكمبيوتر كلام ابن منظور السابق، ونقل منه حديثه عن حروف الذلاقة، ووقع في الخطأ المطبعي الوارد في اللسان، إذ جاء في اللسان (١٤/١) أن هذه الحروف هي (د – ب– م – ن– ل– ف). وواضح أن الحرف الأول ليس الدال إنما هو الراء. انظر: كتاب علي حلمي موسى السابق، ص ٨.

(٢٠١) انظر: بصائر ذوي التمييز، ٥٦٣/١- ٥٦٦.

والقاف والدال والفاء والسين. ويتبين من هذه النتيجة العلمية الدقيقة أنّ حروف الذلاقة التي اعتدها الخليل، وهي (اللام والنون والراء والفاء والباء والميم) جاءت أولاً ماعدا الفاء. على حين أنّ حرفي الطلاقة (العين والقاف) وردا ثانياً، ثم جاء حرفا التوسّط والاعتدال (الدال والسين) ثالثاً.

وأما من حيث تشكل هذه الحروف في الأبنية، فقد أظهرت الدراسات الحاسوبية أنّ أكثر الحروف تردّداً في الرباعي والخماسي هي حروف الذلاقة، إضافة إلى شيوعها في الثنائي والثلاثي، ممّا يؤيّد فكرة كثرتها في الكلام عامة[(٢٠٢)] .

وهكذا يتضح مدى التوفيق الذي أحرزه الخليل في استنباط قوانين صوتية تشكيلية ثبت بما لايدع مجالاً للشك صوابها اعتماداً على الأجهزة الحديثة، فضلاً عن التأييد الذي أحرزته لدى القدامى ولا سيما الذين لجؤوا إلى الإحصاء للوصول إلى نتائج علمية دقيقة.

ونثر الخليل في تضاعيف إملائه على الليث آراء متفرقة حول مجاورة الحرف للحرف بالتقدم والتأخر، ومصاحبة الحرف للحرف في كلمة واحدة، من ذلك إشارته إلى عدم وجود كلمة عربية صدرها (نر) أي نون تليها راء[(٢٠٣)] . وعدم وجود أصل فيه (ضك)، أي ضاد تليها كاف من دون فصل بين الحرفين[(٢٠٤)] . وعدم جواز ائتلاف

(٢٠٢) انظر: علي حلمي موسى، إحصائيات جذور معجم لسان العرب باستخدام الكمبيوتر، ص ٣٧، ٤٩، ٦٥، ٨٣، ٨٥ (المائعة)، ٩٥ (مقارنة بين اللسان والصحاح). وانظر لموسى: دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر، ص ٥٩، ٧٥، ٩٣، ١٠٩، ١١١ (المائعة)، وانظر: موسى وعبد الصبور شاهين، دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس باستخدام الكومبيوتر، ص ٣٩ - ٤٨، ٧٩، ٩٧، ١١٥، وانظر دراسة لهذه الإحصاءات في: محمد صالح بن عمر "دراسة إحصائية بالحاسب الالكتروني للجذور الواردة في الصحاح واللسان والتاج، مجلة المعجمية، تونس، العدد الأول لعام ١٩٨٥، ص ١٢٨.

(٢٠٣) انظر: العين، ٥٣/١.

(٢٠٤) انظر: العين، ٥٦/١.

العين مع الغين والهاء والحاء والخاء لقرب مخارجها، ولذلك أهملت[٢٠٥] . وقد تابع ابن جني هذا النحو من قواعد تشكيل الحروف وفصّله في كتابه "سرّ صناعة الإعراب"[٢٠٦]، كما نقل غيره من اللغويين كلمات للخليل من هذا القبيل فنسبت إليهم، وهي مبثوثة في كتبهم[٢٠٧] . وجمع الجواليقي من هذه الملحوظات ماجعله معياراً للفصل بين العربي والأعجمي[٢٠٨] . والفكرة ليست له، لأن الخليل سبق إلى جعل ائتلاف الحروف معياراً لمعرفة صحيح بناء كلام العرب من الدخيل[٢٠٩] .

ونشير استكمالاً لآراء الخليل في التشكيل إلى فكرة تأليف الحروف بحسب المخارج، وإن لم ترد في مقدمة كتاب العين. وأقدم من عرض لهذه الفكرة -وفق مالديّ من مصادر- هو ابن دريد في مقدمته للجمهرة. لكن ابن دريد -كما هو دأبه في نقل معظم ماجاء في كتاب العين- لاينسب الفكرة إلى الخليل. يقول ابن دريد : "واعلم أن الحروف إذا تقاربت مخارجها كانت أثقل على اللسان منها إذا تباعدت..."[٢١٠] "واعلم أن أحسن الأبنية عندهم أن يبنوا بامتزاج الحروف

(٢٠٥) انظر : العين، ١/٥٥، ٦١.

(٢٠٦) انظر: سرّ الصناعة، ٢/٨١١ - ٨٢٠.

(٢٠٧) من أمثلة ذلك ماجاء في مقدمة الجمهرة لابن دريد، ١/٤٦ - ٤٧ ومقدمة التهذيب للأزهري، ١/٤٦، ومقدمة اللسان لابن منظور، ١/١٤. أما ماورد في تضاعيف الموادّ اللغوية مما لايأتلف منسوباً إلى الخليل أو تلميذه الليث فكثير يحتاج إلى تتبع. انظر أمثلة من ذلك لدى عبدالرحيم في تقديمه لكتاب المعرّب للجواليقي، ص ٢٢ - ٢٤. وقد طوّر علماء التعمية واستخراج المعمّى هذه المسألة وبينوا بالإحصاء مالا يقارن بعضه بعضاً من الحروف. انظر نتائج الكندي، ص ١٣٦، ٢٠٨، ٢٣٨ - ٢٥٤، ونتائج ابن الدريهم، ص ١٩١، ٣٤١-٣٤٩. (ضمن كتاب علم التعمية واستخراج المعمى عند العرب).

(٢٠٨) انظر: الجواليقي، المعرّب، ص ١٠٠ - ١٠١.

(٢٠٩) انظر: العين، ١/٥٤ وقد وصف الخليل ماخرج على كلام العرب بالمحدث والمبتدع والمولد إضافة إلى "الدخيل" . انظر: العين، ١/٥٢.

(٢١٠) الجمهرة، ١/٤٦.

المتباعدة"[٢١١] . كذلك عرض ابن جني لهذه الفكرة دون عزو[٢١٢] . لكن الرماني (ت٣٨٦هـ) عرض حين الحديث عن "التلاؤم" لتأليف الحروف، ونقل عن الخليل أن سبب التنافر هو البعد الشديد أو القرب الشديد. "وذلك أنه إذا بعد البعد الشديد كان بمنزلة الطفر، وإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة مشي المقيد، لأنه بمنزلة رفع اللسان وردّه إلى مكانه، وكلاهما صعب على اللسان، والسهولة في ذلك في الاعتدال.."[٢١٣] ثم صار هذا الكلام مادة للمناقشة لدى ابن سنان الخفاجي وعبدالقاهر الجرجاني وابن الأثير وبهاء الدين السبكي والسيوطي[٢١٤] .

ولسنا بصدد عرض مفصّل لهذه الفكرة وما دار حولها من نقاش لخروجها عن شرط هذا البحث، إنما نكتفي بالإشارة إلى أنّ السبكي (ت ٧٧٣هـ) توصّل في كتابه "عروس الأفراح" إلى رتب للتأليف المخرجي للبناء الثلاثي على نحو قريب من النتائج الحديثة التي توصّل إليها الباحثون باستخدام الحاسوب[٢١٥] .

وهكذا يتضح من خلال ماتقدّم أنّ مافي مقدمة كتاب العين ليس دراسة شاملة أو خاصة بالأصوات لذاتها، بل هي مسوقة لغاية معجمية حدّدت ماينبغي التعرّض له دون غيره. وأنّ معظم ماورد جاء لإيضاح الأبنية وخصائص تركيبها من الوجهة الصوتية التشكيلية. وأنّ الأدلة متضافرة في الدلالة على أنّ مافي هذه المقدمة من معلومات لغوية متعدّدة إنما هو من ابتكار الخليل وحده ابتداء، وليس لليث فيه إلا التلقي والنقل وإتمام العمل على هدي الخليل وبعلمه الواسع.

(٢١١) الجمهرة، ١/٤٩.

(٢١٢) سرّ الصناعة، ١/٦٥ - ٦٧، و ٢/٨١٢ - ٨٢٠.

(٢١٣) الرماني، رسالة النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، ص ٩٦.

(٢١٤) انظر: مبادئ اللسانيات، ص ١٢٣ - ١٢٨.

(٢١٥) انظر: المصدر السابق، ص ١٢٦ - ١٢٧.

ويتأكد من خلال هذه القراءة ماكنا أشرنا إليه في البداية من جوانب الأصالة في عمل الخليل الذي وضعه بين يدي تلميذه الليث خاصة، وغيره من سائر تلاميذه عامة، وهي التي تمثلت حقاً في انطلاقه من المعطيات الصوتية العربية المتنوّعة كالقراءات القرآنية والظواهر اللهجية وخصائص الكلام العربي. وفي استناده إلى معارف العرب اللغوية في خلق الإنسان لابتناء جهازه الاصطلاحي الذي يخلو خلواً تاماً من أي مصطلح دخيل(٢١٦). وأنّ آراءه في خصائص التشكيل الصوتي ولا سيما مايتصل بالذلاقة والإصمات وصلت بفضل الوسائل الحديثة إلى مرتبة الحقائق العلمية الثابتة، وهي من أعظم مايفخر به درسنا اللغوي على مرّ العصور. كما يتأكد بعد كلّ ماعرضنا له مبلغ الابتكار الذي امتاز به عمل الخليل ممّا لايسمح بأيّ ظن أو افتراض حول اقتباس الخليل من أعمال الأمم السابقة. فالحق أنّ مافي مقدمة العين وحدها من معطيات لغوية متنوّعة يكفي لأن يقطع الدارس بأصالة علم الأصوات عند العرب على الرغم من قلّة الوسائل وحداثة الدرس عصرئذ.

(٢١٦) انظر: المصدر السابق، ص ١٣٢ - ١٣٣.

ملحق

المصطلحات الصوتية وتحليلها

المصطلحات الصوتية وتحليلها[1]

المصطلحات	أصلها	هيئتها: بسيطة	هيئتها: مركبة	صيغتها: الاسم	اسم الفاعل	الصفة المشبهة	اسم المفعول	اسم المكان	اسم التفضيل	النسبة	الفعل	ملاحظات
أحرف ٤٨	عربي	×		×								جمع تكسير
أحياز ٥٧	-	×		×								-
أخف على اللسان ٦٠	-	×							×			
أدخل الحروف ٤٧	-		تركيب إضافي						×			
أدخل حرف منها ٤٧	-		-						×			
أرفع "الكاف أرفع" ٥٨	-	×							×			
"بعضها أرفع من بعض" ٥٧	-	×							×			
الأرفع فالأرفع ٤٧	-	×							×			
أسلة اللسان ٥٨	-		-	×								
أسلية ٥٨	-			×						×		
أضخمها جرساً ٥٣	-		-						×			
أطلق الحروف ٥٣	-		-						×			

(١) من مقدمة كتاب العين بتحقيق المخزومي والسامرائي، وتشير الأرقام إلى الجزء الأول من الكتاب.

المصطلحات	أصلها	هيئتها		صيغتها								ملاحظات
		بسيطة	مركبة	الاسم	اسم الفاعل	الصفة المشبهة	اسم المفعول	اسم المكان	اسم التفضيل	النسبة	الفعل	
أقصى الحروف٦٠،٥٧	عربي		تركيب إضافي						×			
أقصى الحلق٥٢	-		-						×			
أقصى الفم ٥٢	-		-						×			
ألفتا "الضاد والكاف"٥٦	-		تركيب إسنادي								ماضٍ مبني للمجهول	
ارتفعت فوق ظهر اللسان ٥٢	-		-								ماضٍ مبني للمعلوم	
ارتفعت (الدال) عن خفوت التاء ٥٤	-		-								- -	
استحسنوا الهاء ٥٤			-								-	
انحراف الراء واللام والنون ٥٢	-		تركيب إضافي	×								
باطن الثنايا ٥٢	-		-		×							
بحّة ٥٧	-	×		×								
بناء التأليف ٥٥	-		-	×								

المصطلحات	أصلها	هيئتها		صيغتها								ملاحظات
		بسيطة	مركبة	الاسم	اسم الفاعل	الصفة المشبهة	اسم المفعول	اسم المكان	اسم التفضيل	النسبة	الفعل	
بيان المحكي ٥٥	عربي		تركيب إضافي	×								
تأليفه "الحروف" ٤٨	-		-	×								
تأليف الحروف ٥٦،٥٥	-		-	×								
تأليف العرب ٥٤	-		-	×								
تنقّلها "اللام"٥٦	-		تركيب إسنادي								مضارع معلوم	
تحديد طرفي ذلق اللسان ٥٨	-		تركيب إضافي	×								
ترجيع ٥٦	-	×		×								
تشابه الحرفين ٥٤	-		-	×								
التضاعف ٥٦	-	×		×								
تمدّ اللام ٥٦	-		تركيب إسنادي								مضارع معلوم	
التنوين ٥١،٥٠	-	×		×								
الثقل ٥٦	-	×		×								
ثُقل ٥٧	-		-								ماضٍ مبني للمجهول	

المصطلحات	أصلها	هيئتها: بسيطة	هيئتها: مركبة	صيغتها: الاسم	اسم الفاعل	الصفة المشبهة	اسم المفعول	اسم المكان	اسم التفضيل	النسبة	الفعل	ملاحظات
حرس الصوت ٥٥	-		تركيب إضافي	×								
الجَوف ٥٧	-	×		×								
الجُوف ٥٧	عربي	×		×								جمع تكسير
الحاكي ٥٥	-	×			×							
حال السين ٥٤	-		تركيب إضافي	×								
حرف ٥٧	-	×		×								
حرف معتل ٤٧	-		تركيب وصفي	×								
حرف يبتدأ به ٤٩	-		تركيب وصفي وإسنادي	×								
حرف يحشى به ٤٩	-		- - -	×								
حرف يوقف عليه ٤٩	-		- - -	×								
الحروف ٤٧	-	×		×								جمع تكسير
حروف ا، ب،ت،ث ٤٧	-		تركيب إضافي	×								
الحروف الصحاح ٥٨	-		تركيب وصفي	×								جمع تكسير
حروف الكلمة ٤٧	-		تركيب إضافي	×								- -
حروف العلل ٥٩		-	-	×								- -

المصطلحات	أصلها	هيئتها: بسيطة	هيئتها: مركبة	صيغتها: الاسم	اسم الفاعل	الصفة المشبهة	اسم المفعول	اسم المكان	اسم التفضيل	النسبة	الفعل	ملاحظات
حسَّنت "العين والقاف" ٥٣	-		تركيب إسنادي								ماضٍ مبني للمعلوم	
حسُن إخراج الحرف ٥٧	عربي		تركيب إسنادي								ماضٍ مبني للمعلوم	
حُسن البناء ٥٣	-		-								-	
حُسْنُ الحركة ٥٥	-		تركيب إضافي	×								
حسَّنت "الدال" ٥٤	-		تركيب إسنادي								-	
حسَّنت الحكاية ٥٤	-		-								-	
حكاية مؤلَّفة ٥٤	-		تركيب وصفي	×								
الحكاية المضاعفة ٥٤،٥٦	-		-	×								
الحلق ٤٧،٥٢،٥٨	-	×		×								
حلقية ٥٨	-	×		×							×	
حيِّز ٥٧	-	×		×								
حيِّز واحد ٥٨	-		-	×								
حففتها "اللام"، ٥٦	-		تركيب إسنادي								ماضٍ مبني للمعلوم	

المصطلحات	أصلها	هيئتها: بسيطة	هيئتها: مركبة	صيغتها: الاسم	اسم الفاعل	الصفة المشبهة	اسم المفعول	اسم المكان	اسم التفضيل	النسبة	الفعل	ملاحظات
حفوت التاء، ٥٤	عربي		تركيب إضافي									
ذاقها ٤٧	-		تركيب إسنادي								ماضٍ مبني للمعلوم	
الذلاقة ٥١	-	×		×								
ذَلق اللسان ٥١	-		تركيب إضافي	×								
الذلق "حروف الذلق" ٥٢	-		-	×								
الذُلق "الحروف" ٥١،٥٣،٥٤	-		تركيب وصفي			×						جمع تكسير مفرده "أذلق"
الذُلق ٥٥	-	×				×						
ذلقت ٥٢	-		تركيب إسنادي								ماضٍ مبني للمعلوم	-
ذلقية ٥٨	-	×		×						×		
ذليقة "ثلاثة ذليقة" ٥١	-		تركيب وصفي			×						
ذواقه إياها	-		تركيب إضافي وإسنادي	×								
رُفه ٥٢	-		تركيب إسنادي								ماضٍ مبني للمعلوم	

المصطلحات	أصلها	هيئتها: بسيطة	هيئتها: مركبة	صيغتها: الاسم	اسم الفاعل	الصفة المشبهة	اسم المفعول	اسم المكان	اسم التفضيل	النسبة	الفعل	ملاحظات
الساكن "من الحروف" ٤٩	-	×			×							
الساكن "الحرف" ٥٠	-		تركيب وصفي		×							
السكون ٥٠	-	×		×								
سهلت عليه في المنطق ٥٢	-		تركيب إسنادي								ماضٍ مبني للمعلوم	
سواكن ٥٠	-	×			×							جمع تكسير
شجر الفم ٥٨	-		تركيب إضافي	×								
شجْرية ٥٨	-	×								×		
الشفة ٥٨	-	×		×								
الشفتان ٥١	-	×		×								
الشفتين "بين الشفتين" ٥١	-		شبه الجملة	×								
شفهية ٥٨	-	×								×		
شفوية ٥٨	عربي	×								×		
شفوية "ثلاثة شفوية" ٥١	-		تركيب وصفي							×		
الشفوية	-	×								×		
الشفوية "الحروف" ٥١،٥٤	-		-							×		

المصطلحات	أصلها	هيئتها: بسيطة	هيئتها: مركبة	صيغتها: الاسم	اسم الفاعل	الصفة المشبهة	اسم المفعول	اسم المكان	اسم التفضيل	النسبة	الفعل	ملاحظات
صارت الياء ٥٢	–		تركيب إسنادي								ماضٍ مبني للمعلوم	
الصُّتم ٥٥،٥٤	–	×										
الصحاح "الحروف" ٥٧،٥٢،٥١	–		تركيب وصفي			×						جمع تكسير جمع تكسير
الصحيح ٥٥	–	×				×						مفرده صحيح
صلابة الطاء ٥٣	–		تركيب إضافي	×								
الضمة ٥١	–	×		×								
الطبقتين ٥٢	–	×		×								
طرف أسلة اللسان ٥١	–		–	×								
طرف غار الفم ٥١	–		–	×								
الطلاقة "حرفا الطلاقة" ٥٤	–		–	×								
الطَّلْق ٥٥	–	×										
ظهر اللسان ٥٢	–			×								جمع تكسير
عكدة اللسان ٥٢	–		–	×								

المصطلحات	أصلها	هيئتها: بسيطة	هيئتها: مركبة	صيغتها: الاسم	اسم الفاعل	الصفة المشبهة	اسم المفعول	اسم المكان	اسم التفضيل	النسبة	الفعل	ملاحظات
الغار الأعلى ٥٢	عربي		تركيب وصفي	×								
في الهواء "الهمزة.." ٥٨	–		شبه جملة	×								
في الهواء "أي أنها في الهواء" ٥٧	–		–	×								
في الهواء "هاوية" ٥٧	–		–	×								
قدر مخرجها من الحلق ٤٨	–		تركيب إضافي	×								
قلب الحروف ٤٨	–		تركيب إسنادي								ماضٍ مبني للمعلوم	
قويت الواو ٥٧	–		–								–	
كزازتها (الطاء) ٥٤	–		تركيب إضافي	×								
الكسرة ٥١	–	×		×								
الكلام ٥٠	–	×		×								
لاعتياص فيها ٥٤	–		تركيب إسنادي	×								
لانت "الهمزة" ٥٢	–		–								ماضٍ مبني للمعلوم	
لانت "الدال" ٥٣	–		–								–	

المصطلحات	أصلها	هيئتها: بسيطة	هيئتها: مركبة	صيغتها: الاسم	اسم الفاعل	الصفة المشبهة	اسم المفعول	اسم المكان	اسم التفضيل	النسبة	الفعل	ملاحظات
لاينطلق اللسان ٥٢	-		-								مضارع معلوم	
اللثة ٥٨	-	×		×								
اللثوية ٥٨	-	×		×								
اللسان ٥٢،٤٩	-	×		×								
لفظهم ٥٣	-		تركيب إضافي	×								
لم ينحرفن ٥٣	-		تركيب إسنادي								مضارع معلوم	
اللهاة ٥٨،٥٢	-	×		×								
لهويتان ٥٨	-	×		×						×		
لينها "الهاء" ٥٤	عربي		تركيب إضافي	×								
مبدأ الحرف أو الحروف ٥٨	-		-	×				×				
المثقّل ٥٦	-	×					×					
مخرج الزاي ٥٤	-		-					×				
مخرج الصاد ٥٤	-		-					×				
مخرج الكلام	-		-					×				
مخرجها ٥١	-		-					×				

المصطلحات	أصلها	هيئتها: بسيطة	هيئتها: مركبة	صيغتها: الاسم	اسم الفاعل	الصفة المشبهة	اسم المفعول	اسم المكان	اسم التفضيل	النسبة	الفعل	ملاحظات
مخففاً ٥٧	عربي	×					×					
مدارج ٥٧	-	×						×				جمع تكسير
مدارج الحلق ٥٧	-		تركيب إضافي					×				-
مدارج اللسان ٥٧	-		-					×				-
مدّ ٥٦	-	×		×								
مدرج اللهاة ٥٧	-		-					×				
مدرجة الحرف ٥٨	-		-					×				
مدرجة من مدارج اللسان ٥٧	-	×						×				
مدرجتا هذه الأحرف ٥١	-		-					×				
مذل بهنّ اللسان ٥٢	-		تركيب إسنادي								ماضٍ مبني للمعلوم	
مستحسن "لزوم العين أو القاف" ٥٤	-	×					×					
مستدق طرف اللسان ٥٨	-		تركيب إضافي					×				
المضاعف ٥٥،٥٦،٥٧	-	×					×					

المصطلحات	أصلها	هيئتها: بسيطة	هيئتها: مركبة	صيغتها: الاسم	اسم الفاعل	الصفة المشبهة	اسم المفعول	اسم المكان	اسم التفضيل	النسبة	الفعل	ملاحظات
مضغوطة " الهمزة" ٥٢	عربي	×					×					
مُطْبِقَة"الميم" ٥٨	-	×					×					
المعتلّ ٥٥	-	×			×							
مفرج الفم ٥٨	-		تركيب إضافي					×				
المنطق ٥١	-	×		×								
مهتونة "الهمزة" ٥٢	-	×					×					
موضعه "الحرف" ٥٨	-		-					×				
نصاعتهما "العين والقاف" ٥٣	-		-	×								
نطع الغار الأعلى ٥٨	-		-	×								
نطيعة ٥٨	-	×		×						×		
نفس "الهاء"٥٤	-	×		×								
هاوية في الهواء ٥٧	-	×			×							
هتة ٥٧	-	×		×								
هشاشة "الهاء"٥٤	-		-	×								
ههة ٥٧	-	×		×								

المصطلحات	أصلها	هيئتها: بسيطة	هيئتها: مركبة	صيغتها: الاسم	اسم الفاعل	الصفة المشبهة	اسم المفعول	اسم المكان	اسم التفضيل	النسبة	الفعل	ملاحظات
هوائية ٥٨،٥٧	عربي	×		×						×		
يُنقّل ٥٦	-		تركيب إسنادي								مضارع مجهول	
يحكي ٥٥	-		-								مضارع معلوم	
يخفّف ٥٥	-		-								مضارع مجهول	
يضاعف ٥٦	-		-								- -	
يضاعفون ٥٥	-		-								مضارع معلوم	
يظهر الحرف ٤٧	-		-								- -	
يفتح فاه ٤٧	-		-								- -	

القسم الثاني

النصوص

مقدمة كتاب العين في أرجح نصوصها بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين *

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

بحمد الله نبتدي ونستهدي، وعليه نتوكل، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

هذا ماألفه الخليل بن أحمد البصري- رحمة الله عليه- من حروف أ، ب، ت، ث، مع تكملت به؛ فكان مدار كلام العرب وألفاظهم، ولايخرج منها عنه شيء، أراد أن تُعْرَف به العرب في أشعارها وأمثالها ومخاطباتها وألا يشذ عنه شيءٌ من ذلك. فأعمل فكره فيه؛ فلم يمكنه أن يبتدئ بالتأليف من أول أ، ب، ت، ث، وهو الألف، لأن الألف حرفٌ معتل، فلما فاته الحرف الأول كره أن يبتدئ بالثاني وهو الباء إلا بعد حجة واستقصاء النظر، فدبّر، ونظر إلى الحروف كلها؛ وذاقها؛ فوجد مخرج الكلام كله من الحلق، فصير أولاها بالابتداء أدخل حرف منها في الحلق.

وإنما كان ذواقه إياها أنه كان يفتح فاه بالألف ثم يظهر الحرف؛ نحو: أب، أت، أث، أح، أع أغ، فوجد العين أدخل الحروف في الحلق، فجعلها أول الكتاب، ثم ماقرب منها، الأرفع فالأرفع، حتى أتى على آخرها وهو الميم.

---

* أشكر الأخوين الدكتور حاتم الضامن والدكتور عبد الإله النبهان اللذين تفضلا بإرسال صورة عن هذه المطبوعة.

فإذا سُئِلت عن كلمة وأردت أن تعرف موضعها؛ فانظر إلى حروف الكلمة، فمهما وجدت منها واحداً في الكتاب المقدم فهو في ذلك الكتاب.

وقلّب الخليل أ؛ ب؛ ت؛ ث، فوضعها على قدر مخرجها من الحلق، وهذا تأليفه: ع، ح، هـ، خ، غ، ق، ك، ج، ش، ض، ص، س، ز، ط، د، ت، ظ، ذ، ث، ر، ل، ن، ف، ب، م، و، ا، ي، همزة.

قال أبو معاذ عبد الله بن عائذ: حدثني الليث بن المظفر بن نصر بن سيار عن الخليل بجميع مافي هذا الكتاب.

قال ليث: قال الخليل: كلام العرب مبنيٌ على أربعة أصناف: على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي.

فالثنائي على حرفين نحو: قد، لم، هل، لو، بل، ونحوه من الأدوات والزجر.

والثلاثي:

من الأفعال نحو قولك: ضرب، خرج، دخل، مبني على ثلاثة أحرف.

ومن الأسماء نحو عمر، وجَمَل، وشجر، مبنيٌ على ثلاثة أحرف

والرباعي:

من الأفعال نحو: دحرج، هملج، قرطس، مبنيٌ على أربعة أحرف.

ومن الأسماء نحو: عبقر، وعقرب، وجندب، وشبهه.

والخماسي:

من الأفعال نحو اسحنكل، واقشعرّ، واسحنفر، واسبكرّ، مبنيٌ على خمسة أحرف.

ومن الأسماء نحو: سفرجل، وهمرجل، وشمردل، وكنهبل، وقرعبل، وعقنقل، وقبعثر وشبهه.

والألف التي في اسحنكل واقشعرّ واسحنفر واسبكرّ ليست من أصل البناء، وإنما أدخلت هذه الألفات في الأفعال وأمثالها من الكلام؛ لتكون عماداً وسلماً للسان إلى الحرف الساكن؛ لأن حرف اللسان لاينطلق بالساكن من الحروف، فيحتاج إلى ألف الوصل، إلا أن دحرج وهملج وقرطس لم يحتج فيهن إلى الألف لتكون السلم، فافهم إن شاء الله.

واعلم أن الراء في اقشعرّ واسبكرّ هما راءان أدغمت واحدة في الأخرى، والتشديد علامة الإدغام.

قال الخليل: وليس للعرب بناءٌ في الأسماء ولا في الأفعال أكثر من خمسة أحرف، فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعلٍ واسمٍ فاعلم أنها زائدةٌ على البناء وليست من أصل الكلمة مثل قرعبلانة؛ إنما أصل بنائها: قَرَعْبَل، ومثل عنكبوت؛ إنما أصل بنائها: عنكب.

وقال الخليل: الاسم لايكون أقل من ثلاثة أحرف: حرف يبتدأ به؛ وحرف يحشى به الكلمة؛ وحرف يوقف عليه، فهذه ثلاثة أحرف، مثل سعد وعمر ونحوهما من الأسماء؛ بدئ بالعين وحشيت الكلمة بالميم ووقف على الراء. فأما زيدٌ وكيدٌ فالياء متعلقةٌ لايعتد بها.

فإن صيّرتَ الثنائي- مثل: قد وهل ولو- اسماً أدخلت عليه التشديد فقلت: هذه لوٌّ مكتوبة، وهذه قدٌّ حسنة الكتبة، زدت واواً على واوٍ ودالاً على دال؛ ثم أدغمت وشددت. فالتشديد علامة الإدغام والحرف الثالث، كقول أبي زبيد الطائي:

ليت شعري وأين مني ليتٌ ... إن ليتاً وإن لوّاً عناءُ[1]

فشدّد "لوّاً" حين جعله اسماً.

(١) شعر أبي زبيد الطائي: ٢٤، ويراجع في الديوان مراجع التخريج.

قال ليث: قلت لأبي الدقيش: هل لك في زبدٍ ورطبٍ؟ فقال: أشدُّ الهلِ وأوحاه. فشدّد اللام حين جعله اسماً.

قال: وقد تجيء أسماء لفظها على حرفين وتمامها ومعناها على ثلاثة أحرف؛ مثل: يد ودم وفم. وإنما ذهب الثالث لعلةٍ أنها جاءت سواكن؛ وخِلقتها السكون مثل ياء يدي وياء دمي في آخر الكلمة، فلما جاء التنوين ساكناً اجتمع ساكنان، فثبت التنوين لأنه إعرابٌ؛ وذهب الحرف الساكن، فإذا أردت معرفتها فاطلبها في الجمع والتصغير كقولهم: "أيديهم" في الجمع و "يُدَيَّة" في التصغير، ويوجد أيضاً في الفعل كقولهم: دميت يده.فإذا ثنيت الفم قلت "فموان"؛ كانت تلك الذاهبة من الفم الواو.

قال الخليل: بل الفم أصله فَوَهٌ كما ترى، والجميع أفواهٌ، والفعل فاه يفوه فوهاً: إذا فتح فاه للكلام.

قال أبو أحمد حمزة بن زرعة: قوله "يدٌ" دخلها التنوين وذكر أن التنوين إعرابٌ، قلت: بل الإعراب الضمة والكسرة التي تلزم الدال من "يد" في وجوهٍ، والتنوين يميز بين الاسم والفعل، ألا ترى أنك تقول: "تفعل" لم تجد التنوين يدخلها، وألا ترى أنك تقول: رأيت يدَك وهذه يدُك وعجبت من يدِك؛ فتعرب الدال وتطرح التنوين، ولو كان التنوين هو الإعراب لم يسقط. وأما قوله: "فموان" أنه جعل الواو بدلاً من الذاهبة، فإن الذاهبة هي هاءٌ وواو؛ وهما إلى جنب الفاء، ودخلت الميم عوضاً منهما، والواو التي في "فَمَوين" دخلت بالغلط، وذلك أن الشاعر يرى ميماً قد أدخلت في الكلمة فيرى أن الساقط من الفم هو بعد الميم فيُدخِل الواو مكان مايظن أنه سقط منه؛ ويغلط.

قال الخليل: اعلم أن الحروف الذلق والشفوية ستةٌ وهي: ر، ل، ن، ف، ب، م. وإنما سميت هذه الحروف ذلقاً لأن الذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان

والشفتين؛ وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة، منها ثلاثةٌ ذليقةٌ: ر ل ن تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم، وثلاثة شفوية: ف ب م مخرجها من بين الشفتين خاصةً، لاتعمل الشفتان في شيءٍ من الحروف الصحاح إلا في هذه الأحرف الثلاثة قط، ولاينطلق طرف اللسان إلا بالراء واللام والنون. وأما سائر الحروف فإنها ارتفعت فجرت فوق ظهر اللسان من لدن باطن الثنايا من عند مخرج التاء إلى مخرج الشين؛ بين الغار الأعلى وبين ظهر اللسان؛ ليس للسان فيهن عملٌ أكثر من تحريك الطبقين بهن، ولم ينحرفن عن ظهر اللسان انحراف الراء واللام والنون. وأما مخرج الجيم والقاف والكاف فمن بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم. وأما مخرج العين والحاء والهاء والخاء والغين فالحلق. وأما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق؛ مهتوتة مضغوطة؛ فإذا رُفّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف؛ عن غير طريقة الحروف الصحاح.

فلما ذلقت الحروف السّتة ومذلَ بهن اللسان وسهلت عليه في المنطق كثرت في أبنية الكلام، فليس شيء من أبناء الخماسي التام يعرى منها أو من بعضها.

قال الخليل: فإن وردت عليك كلمةٌ رباعيةٌ أو خماسيةٌ مُعرّاة من حروف الذلق والشفوية ولايكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرفٌ واحدٌ أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثةٌ مبتدعة ليست من كلام العرب، لأنك لست واجداً من يسمع من كلام العرب كلمةً رباعية أو خماسية إلا وفيها من حروف الذلق والشفوية واحدٌ أو اثنان أو أكثر.

قال ليث:

قلت: فكيف تكون الكلمة المولدة المبتدعة غير مشوبة بشيء من هذه الحروف؟ فقال: نحو الكشعثج والخضعثج والكشعطج وأشباههن، مُوَلّدات لا تجوز في كلام العرب، لأنه ليس فيهن من حروف الذلق والشفوية؛ فلا تقبلنّ منها شيئاً، وإن أشبه

لفظهم وتأليفهم، فإن النحارير منهم ربما أدخلوا على الناس ماليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنت[٢].

* * *

وأما البناء الرباعي المنبسط فإن الجمهور الأعظم منه لايعرى من الحروف الذلق أو من بعضها، إلا كلماتٍ نحواً من عشر جئن شواذَّ، وفي هذه الكلمات: العسجد والعسطوس والقداحس والدعشوقة والدهدعة والزهزقة، وهي مفسرة في أمكنتها.

قال أبو أحمد حمزة بن زرعة هنّ كما قال الشاعر:

ودعشوقةٌ فيها نرمح وهنمٌ   تعسفتها ليلاً وتحتي جلامقُ[٣]

وليس في كلام العرب دعشوقةٌ ولاجلامق ولاكلمةٌ صدرها "نر"، وليس في شيءٍ من الألسن طاءٌ[٤] غير العربية، ولا من لسان إلاّ التنور فيه تنور.

وهذه الأحرف قد عرين من الحروف الذُلق ولذلك نزرن فقللن، ولولا مالزمهن من العين والقاف ماحَسُنَّ على حال، ولكن العين والقاف لاتدخلان في بناء إلا حسنتاه، لأنهما أطلق الحروف وأضخمها جرساً، فإذا اجتمعا أو أحدهما في بناءٍ حسن البناء لنصاعتهما. فإن كان البناء اسماً لزمته السين أو الدال مع لزوم العين أو القاف، لأن الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها وارتفعت عن خفوت التاء؛ فحسنت. وصارت حال السين بين مخرج الصاد والزاي كذلك.

فمهما جاء من بناء اسمٍ رباعيّ منبسطٍ معرّىً من الحروف الذلق والشفوية فإنه

(٢) مجلة البلاغ، العدد التاسع، السنة السادسة ١٣٩٧ - ١٩٧٧، ص ٦٨ - ٧٦.

(٣) انظر رواية أخرى في طبعة المخزومي والسامرائي لكتاب العين، ٥٣/١.

(٤) في طبعة المخزومي والسامرائي (ظاء) وهو أقرب إلى الصواب فيما يبدو.

لايعرى من أحد حرفي الطلاقة أو كليهما؛ ومن السين والدال أو إحداهما، ولايضر ماخالطه من سائر الحروف الصتم. فإذا ورد عليك شيء من ذلك فانظر ماهو من تأليف العرب وماليس من تأليفهم، نحو: فعسح وقعثج ودعثج لاينسب إلى عربية، ولو جاء عن ثقة لم ينكر. ولم يسمع به ولكن ألَّفناهُ ليعرف صحيح بناء كلام العرب من الدخيل.

وأما ماكان من رباعيٍ منبسط معرًّى من الحروف الذلق حكايةً مؤلفةً نحو دهداق وزهزاق وأشباه ذلك فإن الهاء لازمةٌ له فصلاً بين حرفيه المتشابهين مع لزوم العين والقاف، وإنما استحسنوا الهاء في هذا الضرب من الحكاية للينها وهشاشتها، وإنما هي نفسٌ لااعتياص فيها.

وإن كانت الحكاية المؤلفة غير معراةٍ من الحروف الذلق فلن يضرَّ كانت فيها الهاء أم لا؛ نحو الغطمطة وأشباهها، ولاتكون الحكاية مؤلفة حتى يكون حرف صدرها موافقاً لحرف صدر ماضُمَّ إليها في عجزها، كأنهم ضموا "دهـ" إلى "دق" فألفوهما، ولولا ماجاء فيهما من تشابه الحرفين ماحسنت الحكاية بهما، لأن الحكايات الرباعيات لاتخلو من أن تكون مؤلفةً أو مضاعفةً.

فأما المؤلفة فعلى ماوصفت لك، وهو نزر قليل، ولو كان "العهعخ" من الحكاية لجاز في قياس بناء تأليف العرب؛ وإن كانت الخاء بعد العين، لأن الحكاية تحتمل من بناء التأليف مالا يحتمل غيرها؛ لما يريدون من بيان المحكي. ولكن لما كان "العهعخ" فيما ذكر بعضهم اسماً خاصاً و لم يكن بالمعروف عند أكثرهم وعند أهل البصر والعلم منهم؛ رُدَّ فلم يقبل.

وأما الحكاية المضاعفة فإنها بمنزلة الصلصلة والزلزلة وما أشبههما يتوهمون في حسن الحركة مايتوهمون في جرس الصوت يضاعفون لتستمر الحكاية في وجه التصريف.

والمضاعف في البيان في الحكايات وغيرها: ماكان حرفا عجزه مثل حرفي صدره، وذلك بناءٌ يستحسنه العربي، فيجوز فيه من تأليف الحروف جميع ماجاء من الصحيح

والمعتل ومن الذلق والطلق والصتم، وينسب إلى الثنائي لأنه يضاعفه، ألا ترى في الحكاية أن الحاكي يحكي صلصلة اللجام؛ فيقول: صلصل اللجام، وإن شاء قال "صل" يخفف مرةً اكتفاء بها، وإن شاء أعادها مرتين أو أكثر من ذلك فيقول صل صل صل، يتكلف من ذلك مابدا له.

ويجوز في حكاية المضاعفة مالايجوز في غيرها من تأليف الحروف، ألا ترى أن الضاد والكاف إذا ألفتا فبدئ بالضاد فقيل: "ضك" كان تأليفاً لم يحسن في أبنية الأسماء والأفعال إلا مفصولاً بين حرفيه بحرف لازم أو أكثر من ذلك نحو الضنك والضحك وأشباه ذلك. وهو جائزٌ في المضاعف نحو "الضكضاكة من النساء". فالمضاعف جائزٌ فيه كل غثٍّ وسمين من المفصول والأعجاز والصدور وغير ذلك. والعرب تشتق في كثير من كلامها أبنية المضاعف من بناء الثلاثي المثقل بحرفي التضعيف ومن الثلاثي المعتل.

ألا ترى أنهم يقولون: صلَّ اللجام يصلّ صليلاً، فلو حكيت ذلك قلت: "صلّ" تمد اللام وتثقلها، وقد خففتها في الصلصلة وهما جميعاً صوت اللجام، فالثقل مدٌّ والتضاعف ترجيعٌ يخفّ فلا يتمكن لأنه على حرفين فلا يتقدَّر للتصريف حتى يضاعف أو يثقل، فيجيء كثيرٌ منه متفقاً على ماوصفت لك ويجيء منه كثيرٌ مختلفاً نحو قولك: صرّ الجندب صريراً وصرصر الأخطب صرصرةً، فكأنهم توهموا في صوت الجندب مدّاً وتوهموا في صوت الأخطب ترجيعاً. ونحو ذلك كثيرٌ مختلف.

وأما مايشتقون من المضاعف من بناء الثلاثي المعتل فنحو قول العجاج:

ولو أنخنا جمعهم تنخنخوا

وقال في بيت آخر:

لفحلنا إنْ سرّه التنوّخُ

ولو شاء قال في البيت الأول: "ولو أنخنا جمعهم تنوخوا"، ولكنه اشتق "التنوخ" من "نوّخناها فتنوّخت"، واشتق "التنخنخ" من "أنخنا"؛ لأن "أناخ" لما جاء مخففاً حسن إخراج الحرف المعتل منه وتضاعُفُ الحرفين الباقيين تقول: نخنخنا فتنخنخ، ولما أثقل "نوّخنا" قويت الواو فثبتت في "التنوّخ"، فافهم.

قال ليثٌ:

قال الخليل: العربية تسعةٌ وعشرون حرفاً: منها خمسة وعشرون صحاحٌ لها أحياز ومدارج؛ وأربعة أحرف جوف يقال: الواو أجوف ومثله الياء والألف اللينة والهمزة. سميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج الحلق ولامدارج اللسان ولامدارج اللهاة، إنما هي هاويةٌ في الهواء؛ فلم يكن لها حيزٌ تنسب إليها إلا الجوف. وكان يقول كثيراً: الألف اللينة والواو والياء هوائيةٌ، أي أنها في الهواء.

قال الخليل:

فأقصى الحروف كلها العين، ثم الحاء؛ ولو بحةٌ في الحاء لأشبهت العين؛ لقرب مخرجها من مخرج العين، ثم الهاء، ولولا هتةٌ في الهاء– وقال مرةً: هتة(٥) – لأشبهت الحاء؛ لقرب مخرج الهاء من مخرج الحاء. فهذه ثلاثة أحرف في حيزٍ واحدٍ، بعضها أرفع من بعض. ثم الخاء والغين في حيزٍ واحد. حلقيةٌ كلهن.

ثم القاف والكاف لهويتان، الكاف أرفع.

ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد.

ثم الصاد والسين والزاي في حيز واحد.

ثم الطاء والدال والتاء في حيز واحد.

(٥) في طبعة المخزومي والسامرائي: " ههة " وهو الأنسب لعدم تكرير هتة كما أثبته آل ياسين: انظر العين ٥٧/١

ثم الظاء والذال والثاء- بعضها أرفع من بعضٍ- في حيزٍ واحد.

ثم الراء واللام والنون في حيزٍ واحد.

ثم الفاء والباء والميم في حيزٍ واحد.

والواو والألف والياء والهمزة في الهواء؛ لم يكن لها حيزٌ تنسب إليه.

قال ليث: قال الخليل: فالعين والحاء والهاء والخاء والغين حلقيةٌ، لأن مبدأها من الحلق. والقاف والكاف لهويتان، لأن مبدأهما من اللهاة. والجيم والشين والضاد شجرية، لأن مبدأها من شجر الفم أي مفرج الفم. والصاد والسين والزاي أسليةٌ، لأن مبدأها من أسلة اللسان وهي مستدق طرف اللسان. والطاء والتاء والدال نطعيةٌ، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى. والظاء والذال والثاء لثويةٌ، لأن مبدأها من اللثة. والراء واللام والنون ذولقيةٌ، لأن مبدأها من ذلق اللسان وهو تحديد طرفيه كذلق السنان. والفاء والباء والميم شفويةٌ- وقال مرةً: شفهية-، لأن مبدأها من الشفة. والياء والواو والألف والهمزة هوائيةٌ في حيز واحد؛ لأنها هاويةٌ في الهواء لايتعلق بها شيء. نسب كل حرفٍ إلى مدرجته وموضعه الذي يبدأ منه.

وكان الخليل يسمي الميم مطبقة؛ لأنها تطبق الفم إذا لفظ بها.

فهذه صورة الحروف التي أُلِّفت منها العربية على الولاء- وهي تسعةٌ وعشرون حرفاً-:

ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م- فهذه الحروف الصحاح- و ي ا همزة.

فهذه تسعةٌ وعشرون حرفاً؛ منها بنية(٦) كلام العرب.

قال ليث:

(٦) في طبعة المخزومي والسامرائي: " أبنية " وهو الأصوب فيما يبدو. انظر: العين، ١/٥٨.

قال الخليل: اعلم أن الكلمة الثنائية المضاعفة تتصرف على وجهين؛ نحو: قد؛ دق؛ شد؛ دش. والكلمة الثلاثية تتصرف على ستة أوجهٍ تسمى مسدوسة، وهي نحو: ضرب؛ رضب؛ ربض؛ ضبر؛ بضر؛ برض. والكلمة الرباعية تتصرف على أربعةٍ وعشرين وجهاً، وذلك أن حروفها- وهي أربعة أحرفٍ- ضربت في وجوه الثلاثي الصحيح وهي ستة أوجهٍ فصارت أربعةً وعشرين وجهاً، يكتب مستعملها ويلغى مهملها، وذلك نحو "عبقر" تقول منه: عبقر، عبرق، عقبر، عقرب، عرقب، عربق، قعرب، قعبر، قبعر، قبرع، قرعب، قربع، رعقب، رعبق، رقعب، رقبع، ربعق، ربقع، بعقر، بعرق، بقعر، بقرع، برعق، برقع. والكلمة الخماسية تتصرف على مائة وعشرين وجهاً، وذلك أن حروفها- وهي خمسة أحرف- ضربت في وجوه الرباعي- وهي أربعة وعشرون حرفاً- فصارت مائةً وعشرين وجهاً يستعمل أقلُّه ويلغى أكثره، وهي نحو: سفرجل، سفرلج، سفجرل، سفجلر، سجرفل، سجرلف، سرفجل، سرجفل، سجفرل، سفلرج، سلرفج، سلفرج، سرفلج، سرلفج، سجفلر، سلفجر، سفلجر، سرجلف، سلجرف، سجلرف، سرلجف، سجلفر، سلرجف، سلجفر.

وتفسير الثلاثي الصحيح أن يكون ثلاثة أحرف لايكون فيها واوٌ ولا ياءٌ ولاألفٌ لينةٌ ولاهمزةٌ في أصل البناء، لأن هذه الحروف يقال لها حروف العلل، وكلما سلمت كلمةٌ على ثلاثة أحرف من هذه الحروف فهي ثلاثي صحيح مثل: ضرب، خرج، دخل.

والثلاثي المعتل مثل ضري؛ وضرا؛ وضرو؛ وخلا؛ وخلي؛ وخلو؛ لأنه جاء مع الحرفين ألفٌ أو واوٌ أو ياءٌ، فافهم.

قال الخليل:

بدأنا في المؤلفات من العين، وهو أقصى الحروف، ونضم إليه مابعده حتى يستوعب منه كلام العرب الواضح والغريب. وبدأنا من الأبنية بالمضاعف لأنه أخف على اللسان وأقرب مأخذاً للمتفهّم(٧).

* * *

(٧) مجلة البلاغ، السنة السادسة، العدد العاشر، ص ٤٦ - ٥٨.

نصوص من مقدمة كتاب العين أوردها الأزهري في 'تهذيب اللغة'.

ولم أر خلافاً بين اللغويين أن التأسيس المجمل في أول كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد، وأن ابن المظفَّر أكمل الكتاب عليه بعد تلقّفه إياه عن فيه. وعلمت أنه لايتقدم أحدٌ الخليل فيما أسّسه ورسمه. فرأيت أن أحكيه بعينه لتتأمله وتردّد فكرك فيه، وتستفيد منه مابك الحاجة إليه. ثم أتبعه بما قاله بعض النحويّين ممّا يزيد في بيانه وإيضاحه.

قال الليث بن المظفّر: لما أراد الخليل بن أحمد الابتداء في كتاب العين أعمل فكره فيه فلم يمكنه أن يبتدئ من أول ا ب ت ث لأن الألف حرف معتل فلّما فاته أوّل الحروف كره أن يجعل الثاني أولاً وهو الباء إلاّ بحجّة، وبعد استقصاء. فدَّبر ونظر إلى الحروف كلها وذاقها، فوجد مخرج الكلام كلّه من الحلق، فصيّر أولاها بالابتداء به أدخلها في الحلق، وكان ذوقه إياها أنه كان إذا أراد أن يذوق الحرف فتح فاه بألف ثم أظهر الحرف، نحو أت، أح، أع. فوجد العين أقصاها في الحلق وأدخلها. فجعل أول الكتاب العين، ثم ما قرب مخرجه منها بعد العين الأرفع فالأرفع، حتى أتى على آخر الحروف. فإذا سُئِلت عن كلمة فأردت أن تعرف موضعها من الكتاب فانظر إلى حروف الكلمة، فمهما وجدت منها واحداً في الكتاب المتقدم فهو في ذلك الكتاب.

قال: وقلّب الخليل ا ب ت ث فوضعها على قدر مخرجها من الحلق. وهذا تأليفه: ع ح هـ خ غ ق ك ج ش ض ص س ز ط د ت ظ ذ ث ر ل ن ف ب م و ا ي.

قال الخليل بن أحمد: كلام العرب مبنيٌّ على أربعة أصناف: على الثنائي، والثلاثي، والرباعي والخماسي.

فأمّا الثنائي فما كان على حرفين، نحو قد، لم، بل، هل، ومثلها من الأدوات.

قال: والثلاثي نحو قولك ضرب، خرج، مبنيّ على ثلاثة أحرف.

والرباعي نحو قولك: دحرج، هملج، قرطس، مبنيّ على أربعة أحرف.

قال: والخماسي نحو قولك: اسحنكك، اقشعرَّ، اسحنفر، مبنيّ على خمسة أحرف.

قال: والألف في اسحنكك واسحنفر ليست بأصلية إنما أدخلت لتكون عماداً وسُلّما للسان إلى الساكن؛ لأن اللسان لاينطلق بالساكن. والراء التي في اقشعرَّ راءان أدغمت واحدة في الأخرى، فالتشديدة علامة الإدغام.

قال: والخماسيّ من الأسماء نحو: سفرجل، وشمردل، وكنهبل، وقبعثر، وما أشبهها.

قال وقال الخليل: ليس للعرب بناءٌ في الأسماء وفي الأفعال أكثر من خمسة أحرف، فمهما وجدت زيادة على خمسة أحرف في فعل أو اسم فاعلم أنها زائدة على البناء، نحو قرعبلانة، إنما هو قرعبل، ومثل عنكبوت، إنما هو أصله عنكب.

قال: والاسم لايكون أقل من ثلاثة أحرف: حرف يبتدأ به، وحرف يحشى به الكلمة، وحرف يوقف عليه. فهذه ثلاثة أحرف، مثل سعد، وبدر، ونحوهما. فإن صيّرت الحرف الثنائي مثل قد وهل ولو أسماءً أدخلت عليه التشديد فقلت: هذه لوٌّ مكتوبة، هذه قدٌّ حسنة الكتبة. وأنشد:

ليتَ شِعري وأين مِنّيَ ليتٌ　　إنَّ ليتاً وإنَّ لَوّاً عناءُ

فشدّد لوّاً حين جعله اسماً. قال: وقد جاءت أسماءٌ لفظها على حرفين، وتمامها على ثلاثة أحرف، مثل يد ودم وفم، وإنما ذهب الثالث لعلّة أنها جاءت سواكن وخِلقتها السكون، مثل ياء يدي وياء دمي في آخر الكلمة، فلما جاء التنوين ساكناً لم يجتمع ساكنان فثبت التنوين لأنه إعراب، وذهب الحرف الساكن. فإذا أردت معرفتها فاطلبها في الجمع والتصغير، كقولك: أيديهم، ويُديَّة.

قال: وتوجد أيضاً في الفعل، كقولك: دميت يده. ويقال في تثنية الفم فموان. وهذا يدل على أن الذاهب من الفم الواو.

وقال الخليل: الفم أصله فوه كما ترى، والجمع أفواه. وقد فاه الرجل، إذا فتح فاه بالكلام.

قلت: وقد بينت في كتاب الهاء ما قاله النحويون فيه.

باب ألقاب الحروف ومدارجها

قال الخليل بن أحمد: اعلم أن الحروف الذّلق والشفوية ستّة: ر ل ن ف ب م. فالراء واللام والنون سمّيت ذلقاً لأن الذّلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان. وسمّيت الفاء والباء والميم شفوية لأنّ مخرجها بين الشفتين، لاتعمل الشفتان في شيء من الحروف إلا في هذه الثلاثة الأحرف. فأما سائر الحروف فإنها ارتفعت فجرت فوق ظهر اللسان من لدن باطن الثنايا من عند مخرج الثاء إلى مخرج الشين بين الغار الأعلى وبين ظهر اللسان. وليس للسان فيهنّ أكثر من تحريك الطبقين بهن. ولم ينحرفن عن ظهر اللسان انحراف الراء واللام والنون.

فأما مخرج الجيم والقاف و[الكاف] فبين عكدة اللسان وبين اللّهاة في أقصى الفم. وأما مخرج العين والحاء والهاء و[الخاء] والغين فمن الحلق.

وأما مخرج الهمزة فمن أقصى الحلق. وهي مهتوتة(٨) مضغوطة، فإذا رُفِّه عنها لانت. وصارت الياء والألف والواو على غير طريق الحروف الصحاح.

ولما ذلقت الحروف الستة ومذل بهن اللسان وسهلت في المنطق، كثرت في أبنية الكلام فليس شيءٌ من بناء الخماسي التام يعرى منها أو من بعضها. فإن ورد عليك خماسي معرًّى من الحروف الذّلق والشفويّة فاعلم أنّه مولّد وليس من صحيح كلام العرب؛ نحو الخضعثج والكشعطج وأشباه ذلك، وإن أشبه لفظهم وتأليفهم فلا تقبلنّ منه شيئاً؛ فإن النحارير ربما أدخلوا على الناس ماليس من كلام العرب إرادة التلبيس والتعنُّت.

وأما بناء الرباعي المنبسط فإنّ الجمهور الأكثر منه لايعرى من بعض الحروف الذلق إلا كلمات نحواً من عشر، جئن شواذّ، فسرناهن في أمكنتها، وهي: العسجد، والعسطوس، والقداحس، والدعشوقة، والدهدعة، والدهدقة، والزهزقة.

قال: وأما الغطمطيط وجلنبلق وحبطقطق فإن لهذه الحروف وما شاكلها مما يعرف الثنائي وغيره من الثلاثي والرباعي والخماسي فإنها في مواضعها بينة. والأحرف التي سميناهن فإنهن عرين من الحروف الذلق، ولذلك نزرن فقللن ولولا ما لزمهن من العين والقاف ما حَسُنَّ على حال، ولكن العين والقاف، لاتدخلان على بناء إلا حسنتاه، لأنهما أطلق الحروف. أما العين فأنصع الحروف جرساً وألذها سماعاً. وأما القاف فأصحها جرساً. فإذا كانتا أو إحداهما في بناء حسن لنصاعتهما. فإن كان البناء اسماً لزمته السين أو الدال مع لزوم العين أو القاف، لأن الدال لانت عن صلابة الطاء وكزازتها؛ وارتفعت عن خفوت التاء فحسنت. وصارت حال السين بين مخرجي الصاد والزاي كذلك. فمهما جاء من بناء اسم رباعي منبسط معرّى من الحروف

(٨) الهت: شبه العصر للصوت.

الذلق والشفوية فإنه لايعرى من أحد حرفي الطلاقة أو كليهما، ومن السين والدال أو إحداهما، ولايضرّه ماخالطه من سائر الحروف الصتم.

وإذا ورد عليك شيءٌ من ذلك فانظر ماهو من تأليف العرب وما ليس من تأليفهم نحو قعثج، دعثج، لاينسب إلى العربية ولو جاء عن ثقة، أو قعسج لم ينكر ولم نسمع به، ولكننا ألفناه، ليعرف صحيح بناء كلام العرب من الدخيل.

وأما ماكان من هذا الرباعي المنبسط من المعرّى من الحروف الذلق حكاية مؤلفة نحو دهداق وزهزاق وأشباه ذلك، فإن الهاء لازمة له فصلاً بين حرفيه المتشابهين مع لزوم العين والقاف أو إحداهما. وإنما استحسنوا الهاء في هذا الضرب من الحكاية للينها وهشاشتها، إنما هي نَفَسٌ لا اعتياص فيها.

وإن كانت الحكاية المؤلفة غير معرّاة من الحروف الذلق فلن تضرّ أكانت فيها الهاء أم لا، نحو غطمطة وأشباهه. ولا تكون الحكاية مؤلفة حتى يكون حرف صدرها موافقاً لصدر ماضمّ إليها في عجزها، كأنهم ضمّوا دَهْ إلى دق فألّفوهما. ولولا مافيهما من تشابه الحرفين ماحسنت الحكاية بهما، لأن الحكايات الرباعيات لاتخلو من أن تكون مؤلّفة أو مضاعفة. فأمّا المؤلّفة فعلى ماوصفت لك، وهو نزرٌ قليل. ولو كان العهعخ جميعاً من الحكاية لجاز في تأليف بناء العرب وإن كان الخاء بعد العين، لأنّ الحكاية تحتمل من بناء التأليف مالا يحتمل غيرها لما يريدون من بيان المحكيّ. ولكن لما جاء العهعخ، فيما ذكر بعضهم، اسماً عاماً و لم يكن بالمعروف عند أكثرهم وعند أهل البصر والعلم منهم ردّ فلم يقبل.

وأما الحكاية المضاعفة فإنها بمنزلة الصلصلة والزلزلة وما أشبههما، يتوهّمون في حسن الحركة مايتوهمون في جرس الصوت، يضاعفون لتستمر الحكاية على وجه التصريف.

والمضاعف من البناء في الحكايات وغيرها ماكان حرفا عجزه مثل حرفي صدره، وذلك بناء نستحسنه ونستلذه، فيجوز فيه من تأليف الحروف ماجاء من الصحيح والمعتل، ومن الذلق والطلق والصتم. وينسب إلى الثنائي لأنه يضاعفه. ألا ترى أن الحاكي يحكي صلصلة اللجام فيقول: صلصل اللجام، فيقال صَلْ يخفّف، فإن شاء اكتفى بها مرّة، وإن شاء أعادها مرتين أو أكثر من ذلك فقال صَلْ صل صل، فيتكلف من ذلك مابدا له. ويجوز في حكاية المضاعف مالايجوز في غيرها من تأليف الحروف. ألا ترى أن الضاد والكاف إذا ألفتا فبدئ بالضاد فقيل ضك كان هذا تأليفا لايحسن في أبنية الأسماء والأفعال إلا مفصولاً بين حرفيه بحرف لازم أو أكثر من ذلك، نحو الضنك والضحك وأشباه ذلك. وهو جائز في تأليف المضاعف نحو الضكضاكة من النساء وأشباه ذلك. فالمضاعف جائز فيه كل غثٍّ وسمين من المفصول والأعجاز وغير ذلك.

والعرب تشتق في كثير من كلامها أبنية المضاعف من بناء الثنائي المثقل بحرفي التضعيف، ومن الثلاثي المعتل. ألا ترى أنهم يقولون صلّ اللجام صليلاً، فلو حكيت ذلك قلت صلّ تمدّ اللام وتثقّلها، وقد خففتها من الصلصلة، وهما جميعا صوت اللجام، فالتثقيل مدٌّ والتضعيف ترجيع، لأن الترجيع يخف فلا يتمكن لأنه على حرفين فلا ينقاد للتصريف حتى يضاعف أو يثقل، فيجيء كثير منه متفقاً على ما وصفت لك ويجيء كثير منه مختلفا نحو قولك: صرّ [الجندب] صريراً[٩] وصرصر الأخطب صرصرة، كأنهم توهموا في صوت الجندب مدّاً، وتوهموا في صوت الأخطب ترجيعاً. ونحو ذلك كثير مختلف.

وأما ما يشتقون من المضاعف من بناء الثلاثي المعتل فنحو قول العجاج:

ولو أَنخْنا جَمعَهم تنخنخوا   لِفحلنا إنْ سرّه التنوّخ

(٩) في المطبوعة: الجنوب وهو خطأ.

ولو شاء لقال في البيت الأول: ولو أنخنا جمعهم تنوّخوا، ولكنه اشتق التنوخ من نوّخناها فتنوّخت، واشتق التنخنخ من قولك أنخنا، لأن أناخ لما جاء مخفّفاً حسن إخراج الحرف المعتل منه وتضاعفُ الحرفين الباقيين، تقول نخنخنا فتنخنخ. ولما قال نوّخنا قرّت الواو فثبتت في التنوخ. فافهم.

باب أحياز الحروف

قال الخليل بن أحمد: حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً منها خمسة وعشرون حرفاً لها أحيازٌ ومدارج، وأربعة أحرف يقال لها: جوفٌ. الواو أجوف، ومثله الياء والألف اللينة والهمزة، سميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف فلا تخرج في مدرجة، وهي في الهواء فلم يكن لها حيّز تنسب إليه إلا الجوف. وكان يقول كثيراً: الألف اللينة والواو والياء هوائية، أي أنها في الهواء.

قال: وأقصى الحروف كلها العين، وأرفع منها الحاء، ولولا بُحّة في الحاء لأشبهت العين، لقرب مخرج الحاء من مخرج العين. ثم الهاء، ولولا هتة في الهاء– وقال مرةً: ههة في الهاء– لأشبهت الحاء، لقرب مخرج الهاء من الحاء. فهذه الثلاثة في حيز واحد. ثم الخاء والغين في حيز واحد، ثم القاف والكاف في حيز واحد، ثم الجيم والشين والضاد ثلاثة في حيز واحد، ثم الصاد والسين والزاي ثلاثة في حيز واحد، ثم الطاء والدال والتاء ثلاثة في حيز واحد، ثم الظاء والذال والثاء ثلاثة في حيز واحد، ثم الراء واللام والنون ثلاثة في حيز واحد، ثم الفاء والباء والميم ثلاثة في حيز واحد، ثم الواو والياء والألف ثلاثة في الهواء لم يكن لها حيّز تنسب إليه غيره.

قال الخليل: فالعين والحاء والهاء والخاء والغين حلقية. والقاف والكاف لهويان. والجيم والشين والضاد شجرية– والشَّجْر مفرج الفم. والصاد والسين والزاي أسلية،

لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهي مستدقّ طرف اللسان. والطاء والدال والتاء(١٠) نطعية، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى. والظاء والذال والثاء لِثوية، لأن مبدأها من اللثة. والراء واللام والنون ذولقية، وهي الذُّلق، الواحد أذلق، وذولق اللسان كذولق السنان. والفاء والباء والميم شفوية، ومرة قال: شفهية. والواو والألف والياء هوائية. نسب كل حرف إلى مدرجته.

وكان الخليل يسمّي الميم مطبقة لأنها تطبق إذا لفظ بها.

قال الخليل: واعلم أن الكلمة الثنائية المضاعفة تتصرف على وجهين، مثل دقّ، قدّ، شدّ، دشّ. والكلمة الثلاثية الصحيحة تتصرف على ستة أوجه تسمى مسدوسة، نحو: ضرب، ضبر، ربض، رضب، برض، بضر. قال: والكلمة الرباعية تتصرف على أربعة وعشرين وجهاً، وذلك أن حروفها ضُرِبت وهي أربعة أحرف في وجوه الثلاثي الصحيح وهي ستة فصارت أربعة وعشرين، وهُنّ نحو:

عبقر، عبرق، عقرب، قبعر، عربق، عرقب، فهذه ستة أوجه أولها العين.

وكذلك: قعبر، قبعر، قعرب، قبرع، قرعب، قربع. ستة أوجه أولها القاف.

بعقر، بعرق، بقرع، بقعر، برقع، برعق، ستة أوجه.

رقعب، رقبع، رعقب، رعبق، ربقع، ربعق. فهذه أربعة وعشرون وجها أكثرها مهمل.

قال الخليل: والكلمة الخماسية تتصرف مائة وعشرين وجهاً، وذلك أن حروفها ضربت وهي خمسة أحرف في وجوه الرباعي وهي أربعة وعشرون وجهاً فتصير مائة وعشرين وجهاً، يستعمل أقلها ويلغى أكثرها. وهو نحو: سفرجل، سفرلج، سفجرل، سفجلر، سفلرج، سفلجر، سرجفل، سرلفج، سرجلف، سرفلج، سلفرج، سلجفر،

(١٠) كررت المطبوعة الطاء وما أثبتناه هو الصواب.

سلفجر، سلجرف، سجلفر، سجرفل، سرلجف، سرفجل، سجفرل، سجرفل، سجرلف، سلرجف، سجرلف، سجفلر. فهذه أربعة وعشرون وجهاً الابتداء فيها بالسين. وكذلك للفاء إذا ابتدئ بها أربعة وعشرون وجهاً، وكذلك للراء واللام والجيم. فذلك مائة وعشرون وجها أكثرها مهمل.

وتفسير الثلاثي الصحيح أن تكون الكلمة مبنية من ثلاثة أحرف لايكون فيها واو، ولاياء، ولا ألف لينة، ولاهمزة في أصل البناء، لأن هذه الحروف يقال لها حروف العلل. وكلما سلمت كلمة على ثلاثة أحرف من الحروف السالمة فهي ثلاثية صحيحة. والثلاثي المعتل ماشابه حرفٌ من حروف العلة.

قال: واللفيف الذي التف بحرفين من حروف العلل مثل وَفَى، وغوى، ونأى. فافهمه.

* * *

وروى غير ابن المظفر عن الخليل بن أحمد أنه قال: الحروف التي بُني منها كلام العرب ثمانية وعشرون حرفاً لكل حرف منها صَرفٌ وجرس. أما الجرس فهو فهم الصوت في سكون الحرف. وأما الصرف فهو حركة الحرف.

قال: والحروف الثمانية والعشرون على نحوين: معتل وصحيح. فالمعتل منها ثلاثة أحرف: الهمزة والياء والواو. قال: وصورهنّ على ماترى: اوي. قال: واعتلالها تغيّرها من حال إلى حال ودخول بعضها على بعض، واستخلاف بعضها من بعض.

قال: وسائر الحروف صحاح لاتتغير عن حالها أبداً غير الهاء المؤنثة، فإنها تصير في الاتصال تاءً، كقولك هذه شجره فتظهر الهاء، ثم تقول هذه شجرتك شجرةٌ طيبة فتذهب الهاء وتستخلف التاء لأن التاء مؤنثة. وإنما فعلوا ذلك بهاء التأنيث ليفرقوا بينها وبين الأصلية في بناء الكلمة.

قال: والحروف الصحاح على نحوين: منها مُذْلَق ومنها مُصْمَت. فأما المذلقة فإنها ستة أحرف في حيزين: أحدهما حيز الفاء فيه ثلاثة أحرف كما ترى: ف ب م، مخارجها من مدرجة واحدة لصوت بين الشفتين لاعمل للسان في شيء منها. والحيز الآخر حيز اللام فيه ثلاثة أحرف كما ترى: ل ر ن، مخارجها من مدرجة واحدة بين أسلة اللسان ومقدم الغار الأعلى. فهاتان المدرجتان هما موضعا الذلاقة، وحروفهما أخف الحروف في المنطق، وأكثرها في الكلام، وأحسنها في البناء.

ولايحسن بناء الرباعي المنبسط والخماسي التام إلا بمخالطة بعضها نحو: جعفر، ودردق، وسفرجل، ودردبيس. وقد جاءت كلمات مسيّنة شواذ، نحو: عسجد، وعسطوس.

وقال: أما المصمتة وهي الصتم أيضاً- فإنها تسعة عشر حرفاً صحيحاً. منها خمسة أحرف مخارجها من الحلق، وهي ع ح هـ خ غ. ومنها أربعة عشر حرفاً مخارجها من الفم مدرجها على ظهر اللسان من أصله إلى طرفه، منها خمسٌ شواخص، وهن ط ض ص ظ ق وتسمى المستعلية، ومنها تسعة مختفضة، وهن: ك ج ش ز س د ت ذ ث.

قال: وإنما سمّين مصمتة لأنها أصمتت فلم تدخل في الأبنية كلها. وإذا عرّيت من حروف الذلاقة قلّت في البناء، فلست واجداً في جميع كلام العرب خماسياً بناؤه بالحروف المصمتة خاصة، ولاكلاماً رباعياً كذلك غير المسيّنة التي ذكرتها. واستخفت العرب ذلك لخفة السين وهشاشتها. ولذلك استخفت السين في استفعل.

قال: والعويص في الحروف المعتلة، وهي أربعة أحرف: الهمزة والألف اللينة والياء والواو. فأما الهمزة فلا هجاء لها، إنما تكتب مرة ألفاً ومرة واواً ومرة ياء. فأما الألف اللينة فلا صرف لها، إنما هي جرس مدّةٍ بعد فتحة، فإذا وقعت عليها صروف الحركات ضعفت عن احتمالها واستنامت إلى الهمزة أو الياء أو الواو، كقولك عصابة وعصائب، كاهل وكواهل، سعلاة وثلاث سعليات فيمن يجمع بالتاء. فالهمزة التي في العصائب

هي الألف التي في العصابة، والواو في الكواهل هي الألف التي في الكاهل جاءت خَلَفاً منها، والياء التي في السعليات خلفٌ من الألف التي في السعلاة، ونحو ذلك كثير. فالألف اللينة هي أضعف الحروف المعتلة، والهمزة أقواها متناً، ومخرجها من أقصى الحلق من عند العين.

قال: والياء والواو والألف اللينة منوطات بها، ومدارج أصواتها مختلفة، فمدرجة الألف شاخصة نحو الغار الأعلى، ومدرجة الياء مختفضة نحو الأضراس، ومدرجة الواو مستمرة بين الشفتين، وأصلهن من عند الهمزة. ألا ترى أن بعض العرب إذا وقف عندهن همزهن، كقولك للمرأة افعلئ وتسكت، وللاثنين افعلأ وتسكت، وللقوم افعلؤ وتسكت، فإنما يهمزن في تلك اللغة لأنهن إذا وقف عندهن انقطع أنفاسهن فرجعن إلى أصل مبتدئهن من عند الهمزة. فهذه حال الألف اللينة، والواو الساكنة بعد الضمة، والياء الساكنة بعد الكسرة، والألف اللينة بعد الفتحة. وهؤلاء في مجرىً واحد.

والواو والياء إذا جاءتا بعد فتحة قويتا، وكذا إذا تحركتا كانتا أقوى. ومن تبيان ذلك أن الألف اللينة والياء بعد الكسرة والواو بعد الضمة إذا لقيهن حرف ساكن بعدهن سقطن، كقولك عبد الله ذو العمامة، كأنك قلت ذُل. وتقول رأيت ذا العمامة، كأنك قلت ذَل. وتقول مررت بذي العمامة، كأنك قلت ذِل. ونحو ذلك كذلك في الكلام أجمع.

والياء والواو بعد الفتحة إذا سكنتا ولقيهما ساكن بعدهما فإنهما يتحركان ولا يسقطان أبداً، كقولك لو انطلقت يا فلان، وقولك للمرأة: اخشَيِ الله، وللقوم: اخشَوُا الله. وإذا وقفت قلت: اخشَوْا واخشَيْ.

فإذا التقت الياء والواو في موضع واحد وكانت الأولى منهما ساكنة فإن الواو تدغم في الياء إن كانت قبلها أو بعدها في الكلام كلّه، نحو: الطـيّ من طويت، الواو قبل الياء؛ ونحو الحي من الحيوان، والياء قبل الواو.

قال: والحروف المعتلة تختلف حالتها فتجري على مجارٍ شتى. من ذلك الألف الليّنة إذا مُدّت صارت مدتها همزة ملتزقة بها من خلفها كقولك هذه لاءٌ مكتوبة، وهذه ماءٌ ماء الصلة لاماء المجازاة[11]. ونحو ذلك من الحروف المصورة إذا وقعت مواقع الأسماء مدّت كما تمد حروف الهجاء إذا نسبت أو وصفت؛ لأنهن يصرن أسماءً؛ لأن الاسم مبنيّ على ثلاثة أحرف، وهذه الحروف مَثْنى مثنى، مثل لـو، ومَن، وعَن، فإذا صيّرت واحداً منها اسماً قويته بحرفٍ ثالث مخرجٍ من حرف ثان كقوله:

إنّ ليتـاً وإن لـوًّا عنـاءُ

جعل لوًّا اسماً حين نعته.

* * *

وروى الليث بن المظفر عن الخليل بن أحمد في أول كتابه: هذا ماألّفه الخليل ابن أحمد من حرف: ا ب ت ث، التي عليها مدار كلام العرب وألفاظها، ولايخرج شيء منها عنها؛ أراد أن يعرف بذلك جميع ماتكلمت به العرب في أشعارها وأمثالها وألا يشذّ عنه منها شيء[12].

(١١) يعني ما الشرطية.

(١٢) تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري المتوفى سنة ٣٧٠ للهجرة حقّقه وقدّم له عبد السلام محمد هارون، راجعه محمد علي النجار الدار القومية العربية للطباعة بالقاهرة (١٣٨٤- ١٩٦٤) (الجزء الأول ص ٤١- ٥٢)

نصوص من مقدمة كتاب العين أثبتها أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ) في كتاب "تذكرة النحاة".

أبو أسامة جنادة بن محمد اللغوي[13] له كتاب سماه بالزهكال في حصر الحروف والمصادر والأفعال، ذكر فيه بإسناد من طريق الليث بن المظفر بن نصر بن سيار[14] عن الخليل بن أحمد الفراهيدي يقول: الحروف العربية ثمانية وعشرون أصلاً، يتفرع عنها سبعة فصلاً.

فمن هذه الأصول خمسة وعشرون حرفاً [صحاحاً] يجمعها لقبان: المصمتة، والمذلقة.

فإما المصمتة فتسعة عشر حرفاً: خمسة حلقية على مدرجة للصوت واحدة من أقصى الحلق إلى أدناه وهي: الهاء، والحاء، والعين، والخاء.

(١٣) جنادة بن محمد الهروي الأزدي، أبو أسامة، عالم باللغة، من أهل هراة قتله الحاكم صاحب مصر (ت. ٣٩٩هـ).

(١٤) هو الليث بن المظفر بن نصر بن سيار الخراساني، بصير بالشعر والغريب والنحو، كتب للبرامكة، وقيل هو مصنف كتاب العين.

وأربعة عشر حرفاً مخارجها من الفم مدرجها على ظهر اللسان من أصله إلى طرفه. منهما خمسة شواخص، وهن: الظاء، والضاد، والصاد، والطاء، والقاف. وتسعة منخفضة، وهن: الكاف، والجيم، والسين، والزاي، والشين، والدال، والتاء، والذال، والثاء.

وإنما سميت مصمتة لأنها أصمتت فلم تدخل في الأبنية كلها، وهي أشد الحروف عويصاً، وإذا عُرِّيت من حروف الذلاقة قلّت في البناء، فلست واجداً في جميع كلام العرب كلمة خماسية بناؤها من الحروف المصمتة خاصة، ولا رباعية كذلك، غير ضرب واحد يقال له الرباعي المعدّى، وهو قليل، وما جاء فالسين لازمة له نحو: عسجد، وعسطوس، وإنما استخفت العرب ذلك لخفة السين وهشاشتها، ولذلك استخفت في: سيفعل واستفعل.

وأما الحروف المذلقة فإنها ستة أحرف في حيزين: أحدهما حيز الفاء، فيه ثلاثة أحرف: الفاء، والباء، والميم، مخارجها من مدرجة واحدة لصوت بين الشفتين لاعمل للسان في شيء منها. والحيز الآخر حيز اللام، فيه ثلاثة أحرف: الراء، واللام، والنون، مخارجها من مدرجة واحدة من أسلة اللسان وبين مقدم الغار الأعلى، فهاتان المدرجتان هما موضع الذلاقة، وحروفها أخف الحروف في المنطق، وأكثرها في الكلام، وأحسنها في البناء. ولايحسن بناء الرباعي المنبسط ولا الخماسي التام إلا بمخالطة بعضها، نحو: جعفر ودردق وسفرجل ودردبيس وأشباه ذلك، إلا أن كلمة قد جاءت [مسيّنة] نحو عسجد.

وذكر أيضاً من طريق النضر بن شميل المازني (١٥) قال: سمعت الخليل يقول: أقصى الحروف كلها العين، وأرفع منه الحاء، ولولا بحّة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرج

(١٥) هو النضر بن شميل بن خرشة بن كلثوم بن عنترة بن زهير، أبو الحسن، بصري. أخذ عن الخليل، وأقام بالبادية أربعين سنة. مات سنة ٢٠٣هـ.

العين من الحاء. ثم الهاء ولولا [ههة] في الهاء لأشبهت الحاء لقرب مخرج الحاء من الهاء، فهذه الثلاثةُ في حيّز يُبْدَل بعضها من بعض، تقول: ربح بمعنى ربع، وضبح بمعنى ضبع، ومدهه بمعنى مدحه. ثم الهمزة، والغين، والخاء، هذه الثلاثة في حيز واحد ينوب بعضُها من بعض في كلمة، يُقال زأته في معنى زغته، وترأه بمعنى ترغه، وتميمُ تبدل الهمزة من العين والعين من الهمزة فتقولُ: عني بمعنى أني، وخبأ بمعنى خبع، وعدر بمعنى أدر.

قال الخليل: وتسمى هذه الحروف حلقية، لأن مبدأها من الحلق، ثم التي تليها القاف، والكاف، وهما لهويتان لأن مبدأها من اللهاة، إلا أن مخرج القاف من فوق حنكها، ومجرى الكاف من أسفله، ولانفراد كل واحد منهما قل مايقع البدل فيهما. ثم الشين، والجيم، والياء، شجرية، لأن مبدأها من الشَّجْر، ومجراها على وسط اللسان ووسط الحنك، ولكل واحدٍ منها بدلان، بدل مقاربة، وبدل مناسبة.

أما المقاربة فالشين والجيم من الياء، مثل: غلامج، وغلامش، بمعنى غلامي، وكلمات أخر غير فصيحات مما يبدلان منها كما تبدل منهما. وأما بدل المناسبة فكالبدل عمّا يبدل في حروف الزوائد، مثل: الراء لأنها تبدل لاماً، والواو لأنها تقلب ياء. أما الراء المبدلة من الياء والواو، فهذرتُ بمعنى هذيت وهذوت، وقشرت بمعنى قشوت، وعِفَريّة من عفوت أو عفيت بمعنى أكثرت، وإنما سمي شعر الناصية والقفاعفرية لكثرتها ولينهما، ومنه قيل لزف النعام ووبر البعير عفاء. ثم الضاد، وهي حافية لأنها من حافة اللسان ومايليها من الأضراس. ثم الصاد، والسين، والزاي، أسلية لأن مبدأها من أسلة اللسان، وهو مستدق طرفه. ولقرب الجوار ومشاكلة المقدار بين الصاد والضاد تنوب إحداهما مناب الأخرى في كلمة اللغي مثل: النوض والنوص، والقبض والقبص. على أن لكل حرف من حروف الأسلية بدلين: بدل مجاراة وبدل مواتاة.

فأما بدل المجاورة كالتاء من السين يقال: النات بمعنى الناس في بعض اللغات، وبدل المواتاة مع حروف معدودة وهي: الجيم، والحاء، والخاء، والطاء، والغين، والقاف، ثم الطاء[١٦]، والدال، والتاء نطعية لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى ومجراها على طرف اللسان وأصول الثنايا وقد تقوم في الكلمة بعضها مقام بعض تقول: مطّة[١٧] ومدة ومتّة بمعنى. ثم الظاء، والذال، والثاء لثوية لأن مبدأها من اللثة ومجراها بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العلا، إلا أن البدل يقع في الظاء من الذال تقول: وظح بمعنى وذح. ثم الفاء وهي فموي لأن مخرجها من الفم بين الثنايا العلا والشفة السفلى ولانحيازها إلى حيز الثاء بالمجاورة يبدل منها فيقال فوم بمعنى ثوم وجدف بمعنى جَدَث. ثم الراء، واللام، والنون ذلق، والواحد أذلق، لأن مبدأها من ذلق اللسان وهو كذلق السنان، وذلق كل شيء تحديد طرفه. وهذه الحروف يجمعها الذَّلَق ويفرقها المنطلق، لأن مجرى اللام من حافات اللسان إلى منتهى طرفه، ومجرى النون بين فويق الثنايا من طرف اللسان، وأما الراء فمنحرفة من مخرج النون إلى اللام لمزية دموجها في ظهر اللسان عند الكلام، ولقرب مخارجها يبدل بعضها بعض. ثم الباء، والميم، والواو شفهية. وفي بعض روايات الليث عن الخليل: أن الضاد شجرية، والشَّجْر مفرج الفم، والفاء من حروف الشفة، والياء، والواو، والهمزة هوائية لأنها لا تتعلق بشيء من الأحياز.

وذكر أيضاً من طريق الأخفش سعيد بن مسعدة[١٨] يقول: سألت الخليل بن أحمد عن حروف المعجم، وعن أحيازها ومجاريها إلى الفم، فقال:

---

(١٦) أوردت المطبوعة الظاء وهو خطأ.

(١٧) في الأصل مظة، وهو خطأ.

(١٨) هو الأخفش الأوسط، سعيد بن مسعدة، أخذ النحو عن سيبويه، له في اللغة كتب مستحسنة. من الأئمة البصريين. توفي سنة ٢١٥هـ.

أما الحروف العربية فثمانية وعشرون أصلاً، ولها ستة عشر حيزاً، فمنها ما اتفق مبدؤها واختلف مجراها، مثل: الجيم مع الياء، والواو مع الباء، والألف مع الهاء، ولبدوّ الياء والواو والألف من الجوف سميت جوفاً، ولِلينها وامتداد الصوت فيها سميت حروف المد واللين، مع اختلاف مجاريها وتباين مباديها على أن لكل حيزٍ منها متدرجاً على مقدار مجاريه، ومتبدلاً من مدانيه ومواتيه.

فمن ذلك بدل الهمزة والهاء والحاء من العين في قولهم: سدأ وسده وسدح بمعنى سدع. ثم الغين والخاء ولها من الحلق المدرجة التالية لقربهما من منفذهما وفيهما بدلان، أحدهما للمجاورة بين الغين والخاء، أو المجاورة التي بينهما وبين الهمزة في [...] [١٩]، وصرأ بمعنى صرخ، وهو الصراء بمعنى الصراخ. ويظهرون تنوين المنون مع هذه الستة على مبلغ ظهورها من مخارجها في مدارجها حتى ربما يخفونه عند الخاء والغين لقربهما من منفذهما، ثم القاف من فوق اللسان مبدؤه، وعلى فويق الحنك مجراه، ثم تكون الكاف من أسفله حتى يدنو من محله، ثم الشين وله من وسط اللسان شداه ومن بين الحنك متسداه، وقد ينوب مناب الكاف لما بينهما من الشرائط في بعض لغات الأطراف، ثم الجيم والياء، وهما من مبدئه ويعارضانه في مجراه، وينوب أحدهما مناب الآخر في مواضعهما، ثم يعارضها لفظ [الضاد] معارضة [الصاد] من حافة المنباس ومايليها من الأضراس، وهما مع اختلافهما في الجريان بدلان مختلفان، لأن بعض الناس يخرجها من الشدق الأيمن، وبعضهم يخرجها من الشدق الأيسر، وأحد بدليه للمشاكلة مثل الهرض بمعنى الهرص، والآخر بدل المناتلة مثل الطجع بمعنى اضطجع. وأنشد بعضهم:

مال إلى أرطاة حقفٍ فالطجع[٢٠]

---

(١٩) مطموس في الأصل.

(٢٠) تمامه لما رأى أن لادعة ولاشبع...

ثم من حروف اللسان إلى منتهاه مبدأ اللام، وهو من البدل والجريان في حيز التمام لأن مجراه فيما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى والشبك المثنى معارضاً لأصول الثنايا والرباعيات مشاركاً لبعضها في الانحراف، ثم النون المتحركة ولها بدل الكفاف لحقِّ القرب والتحرك والانحراف، ومعنى الكفاف: أنه لا يدغم في النون المتحركة غير اللام، فكأنه لافضل فيه لغيره وهي مشربة غنة، ومخرج هذه النون من طرف اللسان بينه وبين مافويق الثنايا، وأقرب الحروف منها اللام، كما أن أقرب الحروف من الياء الجيم. ثم الراء بينهما وهو أدمج من النون في العكد لانحرافه إلى اللام كالمستعكد، ثم الصاد والسين والزاي ولها من وسط اللسان شباته، ومن فويق الثنايا سراته. ثم الطاء والدال والتاء من طرف اللسان وأطراف الثنايا، ثم الظاء والذال والثاء مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا. ثم الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلا. ثم الباء والميم والواو من بين الشفتين. ثم النون المخفية من الخياشيم". انتهى مانقل من كتاب جنادة[٢١] .

* * *

(٢١) تذكرة النحاة لأبي حيان، تحقيق عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٦ ص ٢٥- ٣١.

بعض مااقتبس من المقدّمة

أ- اقتباس من مقدمة كتاب العين ورد لدى ابن دريد (ت ٣٢١هـ) في كتابه "جمهرة اللغة":

وقد ألّف أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفرهودي، رضوان الله عليه، كتاب العين، فأتعب من تصدّى لغايته، وعنّى من سما إلى نهايته، فالمنصف له بالغَلَب معترف، والمعاند متكلّف، وكلُّ من بعده له تَبَعٌ أقرَّ بذلك أم جحد. ولكنه رحمه الله ألّف كتابه مُشاكلاً لثقوب فهمه وذكاء فطنته وحدّة أذهان أهل دهره.

* * *

قال الخليل: لولا بُحّة في الحاء لأشبهت العين فلذلك لم تأتلفا في كلمة واحدة وكذلك الهاء ولكنهما يجتمعان في كلمتين لكل واحدة منهما معنى على حدة، نحو قولهم: حَيَّ هل، وكقول الآخر: هِيهاؤه، وحَيْهَله، فحيَّ كلمة معناها هلم وهلا حثيثاً، وكذلك في الحديث: "فحيَّ هَلُمّ بعمر". وقال الخليل: سمعنا كلمة شنعاء: الهعخع، فأنكرنا تأليفها؛ وسئل أعرابي عن ناقته فقال: تركتها ترعى الهعخع، فسألنا الثقات من علمائهم فأنكروا ذلك وقالوا: نعرف الخعخع، فهذا أقرب إلى التأليف[٢٢] .

* * *

(٢٢) جمهرة اللغة لابن دريد بتحقيق رمزي بعلبكي، ١/٤٠، ١/٤٧.

ب – اقتباس من مقدمة كتاب العين ورد لدى مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧هـ) في كتابه" الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ":

قال أبو محمد: فهذه أربعة وثلاثون لقباً (للحروف) قد بيناها وشرحناها، وكل واحد من هذه الألقاب يدل على معنى وفائدة في الحرف ليسا في غيره مما ليس له ذلك اللقب. وبقيت عشرة ألقاب تمام (أربعة وأربعين) لقباً، لقّبها بذلك الخليل بن أحمد في أول كتاب العين، جعل ألقابها عشرة مشتقة من أسماء المواضع التي تخرج منها الحروف.

الأول من العشرة، الحروف الحلقية، وهي ستة: العين والحاء، والهاء والخاء، والغين والهمزة. فهذه الحروف تخرج من الحلق نَسَبُهنّ إلى الموضع الذي يخرجن منه وهو الحلق، فقال فيهن: حلقية، ولم يذكر الخليل معهن الألف، لأنها تخرج من هواء الفم وتتصل إلى آخر الحلق، فلما لم تقتصر في خروجها على الحلق دون الفم لم يذكرها مع حروف الحلق.

الثاني: الحروف اللهوية، وهما حرفان: "القاف" و "الكاف"، سماهما الخليل بذلك، لأنه نسبهما إلى الموضع الذي يخرجان منه وهو اللَّهاة، واللهاة: مابين الفم والحلق.

الثالث: الحروف الشجرية، وهي ثلاثة أحرف: "الشين"، و "الضاد" و "الجيم"، سماهن الخليل بذلك، لأنه نسبهن إلى الموضع الذي يخرجن منه، وهو مفرج الفم، قال الخليل: الشجر مفرج الفم أي مُفَتَّحه، وقال غيره: الشجر: مجتمع اللحيين عند العنفقة.

الرابع: الحروف الأسلية، وهي ثلاثة: "الصاد" و "السين" و "الزاي"، سماهن الخليل بذلك، لأنه نسبهن إلى الموضع الذي يخرجن منه، فلما كُنّ يخرجن من طرف اللسان، وطرف اللسان: أَسَلَتُهُ، نسبهن إلى ذلك.

الخامس: الحروف النِّطعية، وهي ثلاثة: "الطاء" و "الدال"، و "التاء"، سماهن الخليل بذلك، لأنه نسبهنّ إلى الموضع الذي يخرجن منه، فلما كن يخرجن من نطع الغار الأعلى، وهو سقفه، نسبهنَّ إليه.

السادس: الحروف اللثوية، وهي ثلاثة: "الظاء"، و "الثاء"، و "الذال"، سماهن الخليل بذلك، لأنه نسبهنّ إلى اللثة، لأنهن يخرجن منها، واللثة: اللحم المركب فيه الأسنان.

السابع: الحروف الذّلقية، ويقال [الذليقة] [٢٣] والذولقية وهن ثلاث: "الراء" و"اللام" و "النون"، سماهن الخليل بذلك، لأنه نسبهنّ إلى الموضع الذي يخرجن منه، ومخرجهن من طرف اللسان، وطرف كل شيء: ذلقه.

قال أبو محمد: وجدت في بعض نسخ كتاب العين للخليل رحمه الله: حروف الذلق: (ر، ل، ن، ف، ب، م)، ستة. جمعتها أنا في هجاء نمر فبل، (ويجمعها أيضاً قولك: مل فنبر)، وإن شئت قلت: فر من لب، وفي هذه الحروف حكمة، وذلك أنه لاتوجد كلمة خماسية من كلام العرب إلا وفيها من هذه الحروف، فإذا أتت كلمة (خماسية) ليس فيها شيء من هذه الحروف فليست من كلام العرب فهذا (أصل فافهم).

الثامن: الحروف الشفهية، ويقال: الشفوية، وهي ثلاثة: "الفاء"، و "الباء"، و"الميم"، سماهن الخليل بذلك، لأنه نسبهن إلى الموضع الذي يخرجن منه، ومَخرَجُهُنَّ من بين الشفتين، فنسبهن إلى الشفة.

التاسع: الحروف الجوفية، ويقال: الحروف الجُوفُ – جمع أجوف– وهن ثلاث: "الألف"، و "الواو"، و "الياء"، وهي حروف المد واللين المتقدمة الذكر، سمَّاهنّ الخليل

(٢٣) كررت المطبوعة "الذلقية"، وما أثبتناه هو الأقرب إلى الصواب فيما يبدو.

بذلك، لأنه نسبهن إلى آخر انقطاع مخرجهن وهو الجـوف، وزاد غيره معهـن الهمـزة، لأن مخرجها من (أقصى الحلق) وهو يتصل بالجوف.

العاشر: الحروف الهوائية، وهنّ الجُوف، وقد تقدم ذكرهن وشرحهن، فذلك أربعة وأربعون لقباً بتكرير لقب واحد، فاعرف هذه الصفات والألقاب، واختلاف معانيها وأحكامها (وطباعها) فلولا اختلاف صفات الحروف ومخارجها (وأحكامها) وطباعها التي خلقها الله -جل ذكره- عليها، مافهم الكلام، ولا علم معنى الخطاب، ولكانت الأصوات ممتدة لاتفهم من مخرج واحد، وعلى صفة واحدة كأصوات البهائم»[٢٤].

* * *

ج - اقتباس من مقدمة كتاب العين ورد لدى الاستراباذي (ت ٦٨٨هـ) في شرحه لشافية ابن الحاجب:

وكان الخليل يقول: الألف اللينة والواو والياء والهمزة هوائية: أي أنها من هواء الفم لاتقع على مَدْرجة من مدارج الحلق ولا مدارج اللسان، قال: أقصى الحروف كلها في الحلق العين، وأرفع منها الحاء، وبعدها الهاء، ثم بعدهما إلى الفم الغين والخاء، والخاء أرفع من الغين.

* * *

وقال الخليل: العين والحاء والهاء والغين والخاء حلقية؛ لأن مبْدأها من الحلق، والقاف والكاف لهويّتان؛ إذ هما من اللّهاة، والجيم والشين والضاد شَجْرية، لأن مبدأها من شجْر الفم: أي مفرجه، والصاد والزاي والسين أسَلية، وأسلة اللسان: مستدق طرفه، والطاء والدال والتاء نطعيَّة: لأن مبدأها من نِطَع الغار الأعلى، والظاء

(٢٤) الرعاية لمكي، ص ١١٣ - ١١٧.

والذال والثاء لثوية، والراء واللام والنون ذلقية، وذَلْقُ كل شيء: تحديد طرفه، والفاء والباء والميم شفوية، أو شفهية، والواو والياء والألف والهمزة هوائية؛ إذ هي من الهواء لايتعلق بها شيء[٢٥].

* * *

د- اقتباس من مقدمة كتاب العين ورد لدى ابن منظور (ت٧١١هـ) في لسان العرب:

وقال الخليل بن أحمد: حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً منها خمسة وعشرون حرفاً صحاح، لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف: الواو والياء والألف اللينة والهمزة، وسميت جوفاً لأنها تخرج من الجوف، فلا تخرج في مدرجة من مدارج الحلق، ولا مدارج اللهاة،ولا مدارج اللسان، وهي في الهواء، فليس لها حيز تنسب إليه إلا الجوف.

وكان يقول: الألف اللينة والواو والياء هوائية أي أنها في الهواء. وأقصى الحروف كلها العين، وأرفع منها الحاء، ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها منها، ثم الهاء، ولولا هتة في الهاء، وقال مرّة أخرى ههة في الهاء لأشبهت الحاء لقرب مخرجها منها، فهذه الثلاثة في حيز واحد، ولهذه الحروف ألقاب أخر؛ الحلقية: العين والهاء والحاء والخاء والغين؛ اللهوية: القاف والكاف؛ الشجرية: الجيم والشين والضاد؛ والشجْر مفرج الفم؛ الأسلية: الصاد والسين والزاي، لأن مبدأها من أسلة اللسان وهي مستدقّ طرفه؛ النطعية: الطاء والدال والتاء، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى؛ اللثوية: الظاء والذال والثاء، لأن مبدأها من اللثة؛ الذلقية: الراء واللام والنون؛ الشفوية: الفاء والباء والميم، وقال مرّة شفهية؛ الهوائية: الواو والألف والياء. وسنذكر في صدر كل حرف أيضاً شيئاً مما يخصه.

(٢٥) شرح الشافية، ٣/٢٥١، ٢٥٤.

وأما ترتيب كتاب العين وغيره، فقد قال الليث بن المظفر: لما أراد الخليل بن أحمد الابتداء في كتاب العين أعمل فكره فيه، فلم يمكنه أن يبتدئ في أوّل حروف المعجم، لأنّ الألف حرف معتلّ، فلما فاته أول الحروف كره أن يجعل الثاني أوّلاً، وهو الباء، إلا بحجة وبعد استقصاء، فدبّر ونظر إلى الحروف كلها وذاقها، فوجد مخرج الكلام كله من الحلق، فصير أولاها، في الابتداء، أدخلها في الحلق. وكان إذا أراد أن يذوق الحرف فتح فاه بألف ثم أظهر الحرف ثم يقول: اب ا ت اث اج اع، فوجد العين أقصاها في الحلق، وأدخلها، فجعل أوّل الكتاب العين؛ ثم ماقرب مخرجه منها بعد العين الأرفع فالأرفع، حتى أتى على آخر الحروف، فقلّب الحروف عن مواضعها، ووضعها على قدر مخرجها من الحلق.

وهذا تأليفه وترتيبه: العين والحاء والهاء والخاء والغين والقاف والكاف والجيم والشين والضاد والصاد والسين والزاي والطاء والدال والتاء والظاء والذال والثاء والراء واللام والنون والفاء والباء والميم والياء والواو والألف[٢٦].

* * *

---

(٢٦) لسان العرب لابن منظور، ١٣/١ - ١٤.

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المصادر والمراجع

آل ياسين، الشيخ محمد حسن، "مقدمة كتاب العين في أرجح نصوصها"، مجلة البلاغ، السنة السادسة، العددان التاسع والعاشر لعام ١٩٧٧.

ابن البنّاء، "كتاب العيوب التي يجب أن يجتنبها القراء وإيضاح الأدوات التي بني عليها الإقراء"، تحقيق غانم قدوري حمد، مجلة معهد المخطوطات العربية، الكويت، المجلد (٢١) الجزء الأول لعام ١٩٨٧.

ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، تصحيح علي محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، د.ت.

ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، تحقيق حسن هنداوي، دار القلم، دمشق ١٩٨٥.

الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، ط. ثانية، د.ت.

ابن دريد، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط. أولى ١٩٨٧.

ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، تحقيق محمد حسان الطيان ويحيى ميرعلم، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٣.

ابن عصفور، الممتع في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب ١٩٧٠.

ابن عمر، محمد صالح، "دراسة إحصائية بالحاسب الالكتروني للجذور الواردة في الصحاح واللسان والتاج"، مجلة المعجمية، تونس، العدد الأول لعام ١٩٨٥.

ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.

أبو حيّان الأندلسي، تذكرة النحاة، تحقيق عفيف عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. أولى ١٩٨٦.

الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مراجعة محمد علي النجار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر ١٩٦٤.

الأستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب مع شرح شواهده لعبد القادر البغدادي تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٥٦هـ.

الأنصاري، زكريا، الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية، تحقيق نسيب نشاوي، دار المكتبي، دمشق، ط. أولى ١٩٩٥.

أنيس، إبراهيم، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط. رابعة ١٩٧١.

أولمان، مانفريد، "معجم اللغة العربية الفصحى" ضمن كتاب ألمانيا والعالم العربي، ترجمة مصطفى ماهر، دار صادر، بيروت ١٩٧٤.

بشر، كمال محمد، علم اللغة العام "الأصوات"، دار المعارف بمصر ١٩٨٠.

بروكلمان، كارل، تاريخ الأدب العربي، أشرف على الترجمة العربية محمود فهمي حجازي، القسم الأول، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣.

ثابت بن أبي ثابت، كتاب خلق الإنسان، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، وزارة الإعلام، الكويت، ط. ثانية ١٩٨٥.

الجواليقي، المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، حقّق أصول كلماته ف. عبد الرحيم، دار القلم، دمشق ١٩٩٠.

حسان، تمام، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط. ثانية ١٩٧٩.

- مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة بالدار البيضاء ١٩٧٩.

الحمد، غانم قدوري، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد ١٩٨٦.

حمّودي، هادي حسن، الخليل وكتاب العين، لندن ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

الخوارزمي، مفاتيح العلوم، إدارة الطباعة المنيرية بمصر ١٣٤٢هـ.

خورشيد، إبراهيم زكي، وأحمد الشنتناوي وعبد الحميد يونس، دائرة المعارف الإسلامية، دار الشعب، القاهرة، ط. ثانية ١٩٦٩.

درويش، عبدالله، المعاجم العربية مع اعتناء خاص بمعجم العين للخليل بن أحمد، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٦.

الرماني، رسالة النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تحقيق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط. ثالثة ١٩٧٦.

الزُّبيدي، أبو بكر (ت ٣٧٩هـ)، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط. ثانية ١٩٨٤.

سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، المجلد الثامن، الجزء الأول "علم اللغة"، ترجمة عرفة مصطفى، مراجعة مازن عماوي، جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض ١٩٨٨.

سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب بيروت، د.ت.

السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، البابي الحلبي، القاهرة، د.ت.

- همع الهوامع شرح جمع الجوامع، تصحيح محمد بدر الدين النعساني، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

ضيف، شوقي، المدارس النحوية، دار المعارف بمصر ١٩٦٨.

عبد التواب، رمضان، فصول في فقه العربية، مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض، ط. ثانية ١٩٨٣.

العش، يوسف، "أولية تدوين المعاجم وتاريخ كتاب العين المرويّ عن الخليل بن أحمد، مجلة المجمع العلمي العربي، المجلد (١٦) لعام ١٩٤١.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، دار الهجرة، إيران، قم، ط. أولى ١٤٠٥هـ.

فليش، هنري، "التفكير الصوتي عند العرب في ضوء سرّ صناعة الإعراب"، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، المجلد (٢٣) لعام ١٩٦٨.

فندريس، جوزيف، اللغة، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٠.

الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٩٦٣- ١٩٧٣.

قدور، أحمد محمد، "مشكلات المصطلح اللساني، وصف ونقد واقتراح"، مجلة بحوث جامعة حلب، العدد (٢٦) لعام ١٩٩٤.

- مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق ١٩٩٦.

المخزومي، مهدي، الخليل بن أحمد الفراهيدي، أعماله ومنهجه، دار الرائد العربي، بيروت، ط. ثانية ١٩٨٦

مراياتي، محمد ومحمد حسان الطيان ويحيى مير علم، علم التعمية واستخراج المعمّى عند العرب، مجمع اللغة العربية بدمشق، د.ت.

مطر، عبد العزيز، لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، تحقيق أحمد حسن فرحات، توزيع دار الكتب العربية، دمشق ١٩٧٣.

موسى، علي حلمي، إحصائيات جذور معجم لسان العرب باستخدام الكومبيوتر، جامعة الكويت ١٩٧٢.

- دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكومبيوتر، جامعة الكويت ١٩٧٣.

موسى، علي حلمي وعبد الصبور شاهين، دراسة إحصائية لجذور معجم تاج العروس باستخدام الكمبيوتر، جامعة الكويت، د.ت

مونان، جورج، تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين، ترجمة بدر الدين القاسم، وزارة التعليم العالي، ط. جامعة حلب ١٩٨١.

النديم (ابن النديم)، كتاب الفهرست، تحقيق رضا تجدّد، طهران ١٩٧١.

نصّار، حسين، المعجم العربي، نشأته وتطوّره، مكتبة مصر، القاهرة، ط. ثانية ١٩٦٨.

المكتبة المركزية
0120120001848

دار الفكر

آفاق معرفة متجددة

- **أسست** عام ١٩٥٧م.

- **رسالتها:**
  - تزويد المجتمع بفكر يضيء له طريق مستقبل أفضل.
  - كسر احتكارات المعرفة، وترسيخ ثقافة الحوار.
  - تغذية شعلة الفكر بوقود التجديد المستمر.
  - مدّ الجسور المباشرة مع القارئ لتحقيق التفاعل الثقافي.
  - احترام حقوق الملكية الفكرية، والدعوة إلى احترامها.

- **منهاجها:**
  - تنطلق من التراث جذوراً تؤسس عليها، وتبني فوقها دون أن تقف عندها، وتطوف حولها.
  - تختار منشوراتها بمعايير الإبداع، والعلم، والحاجة، والمستقبل، وتنبذ التقليد والتكرار وما فات أوانه.
  - تعتني بثقافة الكبار، كما تعتني بثقافة أطفالهم.
  - تخضع جميع أعمالها لتنقيح علمي وتربوي ولغوي وفق دليل ومنهج خاص بها.
  - تعدّ خططها وبرامجها للنشر، وتعلن عنها: شهرياً، وفصلياً، وسنوياً، ولآماد أطول.
  - تستعين بنخبة من المفكرين إضافة إلى أجهزتها الخاصة للتحرير، والأبحاث، والترجمة.

- **خدماتها ونشاطاتها:**
  - بنك القارئ النهم (الأول من نوعه في الوطن العربي)
  - جائزة دار الفكر للإبداع والنقد الأدبي
  - ريادة في مجال النشر الألكتروني
  - أول موقع متجدد بالعربية لناشر عربي على الإنترنت: www. Fikr. Com
  - إسهام فعّال في موقع (فرات) لتجارة الكتب والبرامج الألكترونية: www. Furat. Com
  - خدمة المستفتي بإشرافنا على موقع الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي: www.bouti. Com
  - إشراف مباشر على موقع الدكتور وهبة الزحيلي: www. Zuhayli. Com

- **منشوراتها:** تجاوزت حتى عام ٢٠٠١ (١٥٠٠) عنواناً، تغطي سائر فروع المعرفة.

دمشق - سورية - ص.ب: ٩٦٢
هاتف: ٢٢١١١٦٦ - فاكس: ٢٢٣٩٧١٦
e-mail: fikr@fikr.com - http://www.fikr.com

الدكتور أحمد محمد قدور

أصالة علم الأصوات

عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين

دار الفكر
آفاق معرفة متجددة

الدكتور أحمد محمد قدور
أصالة علم الأصوات

٤١١.٥
ق أ أ

ORIGINALITY OF PHONOLOGY

For Al-Khalil Through the Introduction of the Book of the Eye

Aṣālat ʿIlm al-Aṣwāt

ʿInda al-Khalil min Khilāl Muqaddimat Kitāb al-ʿAyn

Dr. Aḥmad Muḥammad Qaddūr

نشأ (علم الأصوات) عند العرب في القرن الثاني للهجرة ضمن الجو الحضاري الناهض عصرئذ، وكانت غاية هذا العلم عملية منذ البداية،إذ جُعلت مبادئه ومعطياته أساساً لعلوم العربية من نحو وصرف ومعجم وغير ذلك من معارف أدبية ونقديّة وبلاغية.

وزاد تقدُّم الزمن من توظيف معطيات علم الأصوات في علوم العربية من جهة، وفي القراءات القرآنية من جهة أخرى حتى ظهر (علم التجويد).

وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي رائد علم الأصوات عند العرب، كما كان رائد علوم العربية كافة بلا منازع، لذلك قضى الدكتور المؤلف سنوات مشتغلاً بهذا الموضوع، ثمَّ قدم كتاب العين منطلقاً من النّص نفسه دون إهمال ما تمكن الاستعانة به من مصادر ومراجع مختصَّة، وضم القسم الثّاني دليلاً على ما قَدَّم في القسم الأوَّل، وباباً يلج منه من شاء من الدارسين لمتابعة العمل أو تقويمه ونقده، فالمجال مايزال مفتوحاً أمام المختصّين ليدلوا بدلوهم بين الدلاء.

فرات
www.furat.com
موقع عربي رائد لتجارة الكتب والبرامج الالكترونية
حائزون على جائزة أفضل ناشر عربي لعام ٢٠٠٢
من الهيئة العامة المصرية للكتاب

ISBN 1-59239-245-8
9 781592 392452

SROUR ALWANI 2003